التعليق الممتع

على كتاب

أصل السنة واعتقاد الدين

للإمامين الرازيين

أبي حاتم الرازي ت ٢٧٧هـ أبي زرعة الرازي ٢٦٤هـ

برواية ابن أبي حاتم الرازي

الشرح للشيخ العلامة

زيد بن محمد بن هادي المدخلي

حفظه الله تعالى

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

الإذن الخطي

التعليق المتين

على كتاب

أصل السنة واعتقاد الدين

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى لدار الميراث النبوي

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

العلم ميراث النبي كذا أتى ... في النص والعلماء هم وراثه

ما خلّف المختار غير حديثه ... فينا فذاك متاعه وأثاثه

رقم الإيداع القانوني: 1890-2010

ردمك: 978-9947-987-97-4

ميراث النبوي للنشر والتوزيع

برج الكيفان - الجزائر

الإدارة : جوال: 554250098 / 668885732 (00213) المبيعات : 561344448 (00213)

البريد الإلكتروني: Dar.mirath@gmail.com

مقدمة الشارح

تشبّهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبّه بالكرام فلاحُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك الحق المبين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان علىٰ خاتم النبيين والمرسلين، محمد عبدالله ورسوله المبعوث رحمة للعالمين بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلىٰ الله بأذنه وسراجًا منيرًا إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فإن الإمامين الرازيين اشتركا في تأليف كتاب «**أصل السنّة واعتقاد الدين**» وهو كتاب صغير الحجم والمبنىٰ، عظيم القدر في القصد والمعنىٰ، وقد تمّ لي شرح قواعده العقدية - بحمد الله - لطلبة العلم في المسجد كاملًا، وسُجّل في أشرطة، وبعد برهة من الزمن تمّ تفريغه من قبل الأخ / سالم الجزائري نسأل الله أن يكتب له الأجر، ويُحسن له العاقبة آمين .

وكان ذلكم التفريغ كغيره من مواد العلوم الشرعية ووسائلها، واستلمه الابن الأستاذ/ أبو حاتم علي بن زيد المدخلي، وقام بطبعه، وتصويب ما فيه من أخطاء لغوية، فقلتُ له : كما اشترك الرازيان في تأليف الأصل، فلنتشبّه أنا وأنت بهما فنشترك في الشرح والبيان والترتيب، علىٰ طريقة أهل السنة وحملة القرآن، فتمّ لي وللابن علي بن زيد المدخلي ما عزمنا

عليه - بتوفيق من الله - في جلسات متتابعة، نقضيها مع المادة المفرّغة من وعائها الأول إلىٰ وعائها الثاني، ويُشير أحدنا علىٰ الآخر بما يراه صالحًا من حذف شيء، أو إضافة شيء، أو تقديم شيء أو تأخيره، من بداية الكتاب إلىٰ نهايته، ثم قدّمناه للطبع، وها هو بين يدي القرّاء المحبين لعقيدة السلف وأتباعهم، ومنهجهم وسلوكهم، سائلين الله الأجر الجزيل علىٰ العمل القليل، في الدنيا والبرزخ وفي الآخرة، في جنات ونهر، وظل ظليل، وفي الختام نحمد الله الملك العلّام، ذا الجلال والإكرام، ونصلي ونسلم علىٰ خير من بُعث بالدعوة إلىٰ دين الإسلام، وعلىٰ آله أنصار الهدىٰ الأئمة الأعلام، وصحبه الأمجاد الذين فتح الله علىٰ أيديهم جلّ الدنيا، وقلوب من شاء من الأنام .

الشارح :
زيد بن محمد هادي المدخلي

الشارح:
علي بن زيد محمد المدخلي

ترجمة للإمامين الرازيين

أبو حاتم الرازي

❑ نسبه:

هو محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران.

❑ كنيته:

يكنىٰ أبا حاتم وقد اشتهر بهذه الكنية.

❑ نسبته:

يقال له الرازي نسبة إلىٰ وطنه الري بزيادة زاي، وأصله من أصبهان، ومن أجل ذلك ترجم له أبو نعيم في كتابه أخبار أصبهان، ويقال له الغطفاني، ويقال الحنظلي، وحنظلة بطن من غطفان، ونسبته إليهم نسبة ولاء كما في الخلاصة للخزرجي، وقال ابنه عبد الرحمن كما في اللباب: «نحن من موالي تميم بن حنظلة الغطفاني من غطفان»، وقال ابن الأثير: «وأما أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلي، فمنسوب إلىٰ درب بالري يقال له: درب حنظلة».

❑ رحلته في طلب الحديث:

بدأ كتابة الحديث سنة تسع ومائتين، أي وعمره أربع عشرة سنة، ورحل في طلبه وهو صغير، فرحل إلىٰ الكوفة والبصرة وبغداد ودمشق وحمص، ورحل إلىٰ مصر وبقي في الرحلة زمانًا، وحصل له في ذلك

أمور عجيبة قال ابنه: سمعت أبي يقول: «أول سنة خرجت في طلب الحديث أقمت سبع سنين أحصيت ما مشيت علىٰ قدمي زيادة علىٰ ألف فرسخ، ثم تركت العدد بعد ذلك، وخرجت من البحرين إلىٰ مصر ماشيًا، ثم إلىٰ الرملة ماشيًا، ثم إلىٰ دمشق، ثم إلىٰ أنطاكية، ثم إلىٰ طرسوس، ثم رجعت إلىٰ حمص، ثم منها إلىٰ الرقة، ثم ركبت إلىٰ العراق، كل ذلك وأنا ابن عشرين سنة، وقال: بقيت بالبصرة سنة أربع عشرة أي ومائتين، فبعت ثيابي حتىٰ نفدت، وجعت يومين فأعلمت رفيقي فقال: معي دينار فأعطاني نصفه، وطلعنا مرة من البحر وقد فرغ زادنا، فمشينا ثلاثة أيام لا نأكل شيئًا...» إلىٰ آخر القصة، وهي مذكورة في طبقات الشافعية وتذكرة الحفاظ وغيرهما.

❑ ممن روى عنهم:

روىٰ عن محمد بن عبد الله الأنصاري، وعثمان بن الهيثم، وعفان بن مسلم، وأبي نعيم عبيد الله بن موسىٰ، وآدم بن أبي إياس، وأبي اليمان، وسعيد بن أبي مريم، وأبي مسهر وغيرهم.

❑ ممن رووا عنه:

روىٰ عنه أبو داود، والنسائي، وابن ماجة، وابنه عبد الرحمن، وروىٰ عنه عبدة بن سليمان المروزي، والربيع بن سليمان المرادي، ويونس بن عبد الأعلىٰ، ومحمد بن عوف الطائي، وهم من شيوخه، ورفيقه وابن خالته أبو زرعة الرازي، ومحمد بن هارون الروياني، وأبو عوانة الإسفرائيني، وابن أبي الدنيا، وأبو زرعة الدمشقي، وأبو عمرو بن حكيم وغيرهم.

▫ من خرج حديثه:

خرج حديثه أبو داود والنسائي وابن ماجة، وقد رمز لإخراجهم حديثه في سننهم الحافظ في تهذيب التهذيب وتقريبه، والخزرجي في الخلاصة، وذكر الحافظ في تهذيب التهذيب أن ابن ماجة روىٰ عنه في التفسير، وقد روىٰ البخاري في الصحيح في باب المحصر عن محمد غير منسوب عن يحي بن صالح،، وفي آخر تفسير سورة البقرة عن محمد غير منسوب عن النفيلي ويحتمل أن يكون هو أبا حاتم الرازي كما في فتح الباري ٤/ ٧ و٨/ ٢٠٦ وقال ابن السبكي في طبقات الشافعية: «وقيل إن البخاري وابن ماجة رويا عنه، ولم يثبت ذلك».

▫ ثناء الأئمة عليه:

قال أبو بكر الخلال: «أبو حاتم إمام في الحديث»، وقال ابن خراش: «كان من أهل الأمانة والمعرفة»، وقال النسائي: «ثقة»، وقال أبو نعيم: «إمام في الحفظ والفهم»، وقال اللالكائي: «كان إماما عالما بالحديث حافظا متقنا ثبتا»، وقال ابن أبي حاتم: «سمعت موسىٰ بن إسحاق القاضي يقول: ما رأيت أحفظ من والدك، قلت له فرأيت أبا زرعة؟ قال لا، قال: وسمعت يونس بن عبد الأعلىٰ يقول: أبو زرعة وأبو حاتم إماما خراسان ودعا لهما وقال: بقاؤهما صلاح للمسلمين»، وقال الخطيب: «كان أحد الأئمة الحفاظ الأثبات مشهورا بالعلم مذكورا بالفضل»، وقال ابن أبي حاتم: «سمعت أبي يقول: قلت علىٰ باب أبي الوليد الطيالسي: من أغرب عليّ حديثا غريبا مسندا صحيحا لم أسمع به فله عليّ درهم يتصدق به، وهناك حلق من الخلق أبو زرعة فمن دونه، وإنما كان مرادي أن أستخرج

منها ما ليس عندي، فما تهيأ لأحد منهم أن يغرب عليّ حديثا»، وقال أحمد بن سلمة النيسابوري: «ما رأيت بعد إسحاق ومحمد بن يحي أحفظ للحديث ولا أعلم بمعانيه من أبي حاتم»، وقال عثمان بن خرزاذ: «أحفظ من رأيت أربعة: إبراهيم بن عرعرة ومحمد بن المنهال الضرير وأبو زرعة وأبو حاتم».

وقال أبو حاتم: «قدم محمد بن يحي النيسابوري الري فألقيت عليه ثلاثة عشر حديثا من حديث الزهري فلم يعرف منها إلا ثلاثة»، قال الحافظ ابن حجر: «وهذا يدل علىٰ حفظ عظيم فإن الذهلي شهد له مشايخه وأهل عصره بالتبحر في معرفة حديث الزهري ومع ذلك فأغرب عليه أبو حاتم»، وقال في تقريب التهذيب: «أحد الحفاظ»، وقال ابن كثير في البداية والنهاية: «أحد الأئمة الحفاظ الأثبات العارفين بعلل الحديث والجرح والتعديل»، وقال الذهبي في العبر: «حافظ المشرق»، وقال: «وكان بارع الحفظ واسع الرحلة من أوعية العلم»، وقال: «كان جاريا في مضمار البخاري وأبي زرعة الرازي»، وقال في تذكرة الحفاظ: «الإمام الحافظ الكبير أحد الأعلام»، وقال ابن ناصر الدين -كما في شذرات الذهب لابن العماد-: «كان في مضمار البخاري وأبي زرعة جاريا، وبمعاني الحديث عالما، وفي الحفظ غالبا، وأثنىٰ عليه خلق من المحدثين»، وقال الحافظ في تهذيب التهذيب: «وقال مسلمة في الصلة: كان ثقة وكان شيعيا مفرطا وحديثه مستقيم»، قال الحافظ: «ولم أر من نسبه إلىٰ التشيع سوىٰ هذا الرجل، نعم ذكر السليماني ابنَه عبد الرحمن من الشيعة الذين كانوا يُقدّمون عليا علىٰ عثمان؛ كالأعمش وعبد الرزاق،، فلعله تلقف ذلك من

أبيه،، وكان ابن خزيمة يرىٰ ذلك أيضا مع جلالته.

❑ آثاره:

يوجد في المكتبة الظاهرية بدمشق (من كتاب الزهد عنه) مخطوطا في المجموعة رقم ٢٨، وفي معهد المخطوطات بالقاهرة: الضعفاء والكذابون والمتركون من أصحاب الحديث عن أبي زرعة وأبي حاتم الرازيين مما سألهما عنه وجمعه وألفه أبو عثمان سعيد بن عمرو بن عمار البرذعي المتوفىٰ سنة ٢٩٢هـ رقم ٧١٩ فهرس قسم التاريخ، وفي معجم المؤلفين ٩/ ٣٥ من آثاره: تفسير القرآن، الجامع في الفقه، الزينة، وطبقات التابعين.

❑ وفاته:

توفي أبو حاتم الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة سبع وسبعين ومائتين، قال الحافظ في تهذيب التهذيب «قال ابن المنادىٰ وغير واحد: مات في شعبان سنة سبع وسبعين ومائتين، وقال ابن يونس في تاريخه مات سنة تسع وسبعين ومائتين، قال الحافظ: والأول أصح»، ثم قال: «وكان مولده سنة خمس وتسعين ومائة»، وقال الذهبي في التذكرة: «توفي أبو حاتم سنة سبع وسبعين أي ومائتين وله اثنتان وثمانون سنة» انتهىٰ، وروىٰ الخطيب بإسناده إلىٰ أحمد بن محمود بن صبيح أنه قال: «سنة سبع وسبعين ومائتين فيها مات أبو حاتم الرازي بالري».

❑ ممن ترجم له:

١- ابن القيسراني في الجمع بين رجال الصحيحين ٤٦٧.

٢- والذهبي في العبر ٢/ ٥٨. وفي تذكرة الحفاظ ٢/ ١٤٦.

٣- وابن حجر في تهذيب التهذيب ٩/ ٣١. وفي التقريب ٢/ ١٤٣.

٤- والخزرجي في خلاصة تذهيب الكمال ٢٧٨.

٥- وابن كثير في البداية والنهاية ١١/ ٥٩.

٦- والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٢/ ٧٣.

٧- والعليمي في المنهج الأحمد ١/ ١٨٣.

٨- وابن العماد في شذرات الذهب ٢/ ١٧١.

٩- وابن أبي يعلىٰ في طبقات الحنابلة ١/ ٢٨٤.

١٠- وابن السبكي في طبقات الشافعية ١/ ٢٩٩.

١١- وابنه عبد الرحمن في مقدمة الجرح والتعديل ٣٤٩.

١٢- وأبو نعيم في أخبار أصبهان ٢/ ٢٠١.

١٣- وعمر رضا كحالة في معجم المؤلفين ٩/ ٣٥.

تم النقل من مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١٩ المقال رقم ٥، ص ٥١-٥٥، محرم ١٣٩٣هـ

أبو زرعة الرازي

❑ نسبه وكنيته ونسبته:

هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ.

كنيته أبو زرعة وقد اشتهر بهذه الكنية.

يقال له الرازي نسبة إلىٰ الري بزيادة زاي وهي بلده، ويقال له القرشي المخزومي نسبة إلىٰ قبيلة قريش نسبة ولاء، وهو عياش بياء مثناه من تحت وآخره شين معجمة ابن مطرّف القرشي هكذا في المنهج الأحمد وتاريخ بغداد وتهذيب التهذيب، أما كتاب الجمع بين رجال الصحيحين وطبقات الحنابلة ففيهما عباس بموحدة ومهملة.

❑ ممن روى عنهم:

رحل أبو زرعة إلىٰ الحرمين والعراق والشام والجزيرة وخراسان ومصر وروىٰ عن كثيرين، فروىٰ عن أبي عاصم، وأبي نعيم، وقبيصة بن عقبة، ومسلم، بن إبراهيم، وأبي الوليد الطيالسي، وأحمد بن يونس، وخلاد بن يحيىٰ، والقعنبي، ومحمد بن سعيد بن سابق، وأبي ثابت المدني، وأبي سلمة التبوذكي، والحكم بن موسىٰ، ويحيىٰ بن عبد الله بن بكير، وخلق كثير سواهم.

❑ ممن رووا عنه:

روىٰ عنه مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وإسحاق بن موسىٰ الأنصاري، وحرملة بن يحيىٰ، والربيع بن سليمان، ومحمد بن حميد الرازي، وعمرو بن علي، ويونس بن عبد الأعلىٰ، وغيرهم.

❑ من خرج حديثه:

خرج حديثه مسلم في صحيحه، والترمذي والنسائي وابن ماجه في سننهم، كل منهم روىٰ عنه مباشرة، والذي أخرجه مسلم في صحيحه عنه حديث واحد أخرجه في أول كتاب الرقاق وهو حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك**».

وقال النووي في شرحه (١٧-٥٤) وهذا الحديث رواه مسلم عن أبي زرعة الرازي أحد حفاظ الإسلام وأكثرهم حفظًا ولم يرو مسلم في صحيحه عنه غير هذا الحديث، وهو من أقران مسلم، توفي بعد مسلم بثلاث سنين سنة أربع وستين ومائتين. انتهىٰ. وقد أشار الخزرجي في الخلاصة إليه فقال: وعنه مسلم فرد حديث، ونقل الحافظ بن حجر في ترجمته في تهذيب التهذيب أن مسلمًا روىٰ عنه حديثين.

❑ ثناء الأئمة عليه:

لأبي زرعة الرازي من ثناء الأئمة حظ وافر، ونصيب كبير، فقد ذكروه بخير، وأثنوا عليه في دينه وورعه، وقوة حفظه وسعة علمه، قال فيه النسائي: «ثقة»، وقال أبو حاتم: «إمام» وقال الخطيب: «كان إمامًا رزينًا

حافظًا مكثرًا صادقًا»، وقال عبد الله بن أحمد: «لما قدم أبو زرعة نزل عند أبي، وكان كثير المذاكرة له، فسمعت أبي يقول يومًا: ما صليت غير الفرض استأثرت بمذاكرة أبي زرعة»، وقال عبد الله بن أحمد: «سمعت أبي يقول ما جاوز النهر أفقه من إسحاق، ولا أحفظ من أبي زرعة»، وقال صالح بن محمد عن أبي زرعة: «أنا أحفظ عشرة آلاف حديث في القراءات»، وقال أيضًا: «سمعت أبا زرعة يقول: كتبت عن إبراهيم بن موسىٰ الرازي مائة ألف حديث، وعن أبي بكر بن أبي شيبة مائة ألف حديث»، وقال أبو يعلىٰ الموصلي: «ما سمعت يذكر أحد في الحفظ إلاّ كان اسمه أكبر من رؤيته إلاّ أبا زرعة فإن مشاهدته كانت أعظم من اسمه»، وقال أبو جعفر التستري: «سمعت أبا زرعة يقول: ما سمعت أذني شيئًا من العلم إلاّ وعاه قلبي وإن كنت لأمشي في سوق بغداد فأسمع من الغرف صوت المغنيات فأضع أصبعي في أذني مخافة أن يعيه قلبي»، وقال أبو حاتم: «حدثني أبو زرعة وما خلف بعده مثله علمًا وفقهًا وفهمًا وصيانة وصدقًا، ولا أعلم في المشرق والمغرب من كان يفهم هذا الشأن مثله»، قال: «وإذا رأيت الرازي ينتقص أبا زرعة فاعلم أنه مبتدع»، وروىٰ البيهقي عن ابن وارة قال: «كنا عند إسحاق بنيسابور، فقال رجل: سمعت أحمد يقول: صح من الحديث سبعمائة ألف حديث وكسر وهذا الفتىٰ- يعني أبا زرعة- قد حفظ ستمائة ألف حديث»، وقال محمد ابن جعفر بن حمكويه: «قال أبو زرعة: أحفظ ستمائة ألف حديث كما يحفظ الإنسان قل هو الله أحد»، وقال ابن حبان في الثقات: «كان أحد أئمة الدنيا في الحديث، مع الدين والورع والمواظبة علىٰ الحفظ والمذاكرة وترك الدنيا وما فيه الناس»، وقال الذهبي في تذكرة

الحفاظ: «الإمام حافظ العصر»، وقال: «كان من أفراد الدهر حفظًا وذكاء ودينًا وإخلاصًا وعلمًا وعملًا»، وقال أبو بكر بن أبي شيبة: «ما رأيت أحفظ من أبي زرعة»، وقال علي بن الجنيد: «ما رأيت أعلم من أبي زرعة»، وقال يونس بن عبد الأعلىٰ: «ما رأيت أكثر تواضعًا من أبي زرعة»، وقال ابن كثير في البداية والنهاية: «أحد الحفاظ المشهورين»، قيل أنه كان يحفظ سبعمائة ألف حديث وكان فقيهًا ورعًا زاهدًا عابدًا متواضعًا خاشعًا، أثنىٰ عليه أهل زمانه وشهدوا له بالتقدم علىٰ أقرانه، وقال ابن الجوزي في صفة الصفوة: «كان من كبار الحفاظ وسادات أهل التقوىٰ». وقال ابن حجر في التقريب: «إمام حافظ ثقة مشهور»، وروي عن أبي زرعة «أن رجلًا استفتاه أنه حلف بالطلاق أنك تحفظ مائة ألف حديث فقال: تمسك بزوجتك» وقال النووي في شرح مسلم: «أحد حفاظ الإسلام وأكثرهم حفظًا».

❑ آثاره:

لأبي زرعة الرازي مسند، ذكره الكتاني في الرسالة المستطرفة ص٦٤ ويوجد في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية كتاب: الضعفاء والكذابون والمتروكون من أصحاب الحديث عن أبي زرعة وأبي حاتم الرازيين مما سألهما عنه وجمعه وألفه أبو عثمان سعيد بن عمرو بن عمار البرذعي الحافظ المتوفىٰ سنة ٢٩٢ وهو برقم ٧١٩ قسم التاريخ.

❑ وفاته:

توفي أبو زرعة رَحِمَهُ اللَّهُ بالري سنة أربع وستين ومائتين، في يوم الإثنين آخر يوم من السنة، أرخ وفاته في هذه السنة الحافظ في التقريب، والذهبي في العبر، وابن كثير في البداية والنهاية، وابن أبي يعلىٰ في طبقات

الحنابلة، ولم أقف علىٰ ما يخالف هذا القول إلاّ قولًا حكاه الحافظ في تهذيب التهذيب عن أبي حاتم أنه توفي سنة ثمان وستين أي ومائتين، أما سنة ولادته فقد سئل عنها فقال: «ولدت سنة مائتين» نقل ذلك ابن أبي يعلىٰ في طبقات الحنابلة، وذكر ابن كثير في البداية والنهاية قولًا آخر في سنة ولادته وأنها في سنة تسعين ومائة، ولا شك أن الأرجح في ذلك ما ذكره هو عن نفسه، ومدة عمره علىٰ هذا أربع وستون سنة رَحِمَهُ اللَّهُ.

وروي أنه عند وفاته اجتمع عنده عدد من العلماء الرازيين فأرادوا تلقينه فاستحيوا منه، فرأوا أن يتذاكروا في حديث التلقين فشرع أحدهم بإسناد حديث ثم وقف أثناءه، فقال أبو زرعة رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا بندار وساق إسناده إلىٰ رسول الله ﷺ أنه قال: «**من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلاّ الله**»، وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ.

❑ ممن ترجم له:

١- ترجم له ابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل ٣٢٨.

٢- والذهبي في العبر ٢-٢٨ وتذكرة الحفاظ ٢-١٣٦.

٣- وابن حجر في تهذيب التهذيب ٧-٣٠ وفي التقريب ١-٥٣٦.

٤- والخزرجي في الخلاصة ٢١٣.

٥- وابن القيسراني في الجمع بين رجال الصحيحين ٣٠٦.

٦- والخطيب في تاريخ بغداد ١٠- ٣٢٦.

٧- وابن كثير في البداية والنهاية ١١- ٣٧.

٨- والعليمي في المنهج الأحمد ١ - ١٤٨.

٩- وابن أبي يعلىٰ في طبقات الحنابلة ١ - ١٩٩.

١٠- وابن عماد في شذرات الذهب ٢ - ١٤٨.

١١- وابن الجوزي في صفة الصفوة ٤ - ٦٩.

١٢- وكحالة في معجم المؤلفين ٦ - ٢٣٩.

تم النقل من مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ٢٠ المقال رقم ٤، ص ٣٧-٤٠، ربيع الثاني ١٣٩٣هـ.

كتب هذه التراجم الشيخ العلامة

عبد المحسن بن حمد العباد البدر حفظه الله

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو زَيْدٍ الشَّامِيُّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو طَالِبٍ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ قِرَاءَةً عَلَيْهِ وَهُوَ يَسْمَعُ وَأَنَا أَسْمَعُ فَأَقَرَّ بِهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ عُمَرَ ابْنِ أَحْمَدَ الْبَرْمَكِيُّ -رحمه الله تَعَالَىٰ- قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْدَكِ بْنِ أَحْمَدَ الْبَرْذَعِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ -أَسْعَدَهُ اللهُ وَرَضِيَ عَنْهُ-، قَالَ: سَأَلْتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَمَا أَدْرَكَا عَلَيْهِ الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الأَمْصَارِ وَمَا يَعْتَقِدَانِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالا: أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الأَمْصَارِ حِجَازًا وَعِرَاقًا وَمِصْرًا وَشَامًا وَيَمَنًا فَكَانَ مِنْ مَذْهَبِهِمْ أَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.(١)

---

(١) هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في تعريف الإيمان أنه: «**قول باللسان**»: كالشهادتين، وكأركان الإيمان التي يصرِّح بها كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة، وكما قال النبيُّ ﷺ: «**قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ**»[1] إذن فالإيمان؛ قول باللسان لمن هو قادر علىٰ النطق.

«**واعتقاد بالقلب**»: أي ما قاله بلسانه يعتقد صحته بقلبه، فيتفق القلب

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٤١٣، برقم ١٥٤٥٤) واللفظ له، ومسلم نحوه: كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، حديث رقم (٣٨)، ، من رواية سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه.

واللسان علىٰ صحة القول.

«**وعمل بالجوارح**»: والمراد به؛ كل عمل يُزاوَل بالحواس والجوارح من الفرائض والواجبات والمستحبات؛ كالصلاة، والصوم، والحج، والعمرة، وطلب العلم، والدعوة إلىٰ الله، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحقيق منهج التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، ونحو ذلك .

«**يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية**»: أي أن الإيمان الذي توفَّرت قيودُه الأربعة يزيد وينقص، فزيادته بالطاعات علىٰ اختلاف أنواعها الظاهرة والباطنة، الأقوال والأفعال، وينقص بالمعصية الظاهرة والباطنة، أقوالها وأفعالها.

وهذه القيود الأربعة عند أهل السنة والجماعة السابقين واللاحقين لا ينقصون منها شيئًا أبدًا، ومن نقص شيئًا منها وقع في خطر. وينجو من الخطر من قال : **الإيمانُ نطقٌ باللسان واعتقادٌ بالقلب وعملٌ بالجوارح**؛ لأن الأعمال كلها داخلة في مُسمَّىٰ الإيمان؛ من صلاة وصوم وقراءة قرآن وأمر بمعروف وصدقة.. وغير ذلك من أنواع الإحسان، كما سبق قريبًا .

يزيد بالطاعات؛ كما أخبر الله -تَبَارَكَ وتَعَالىٰ-: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال:٢]، والتلاوة واستماع القرآن عبادة وطاعة، فالإيمان يزداد بالطاعة؛كما قال سبحانه : ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، أي بسماع الآيات والنصوص من السنة الكريمة، والمواعظ والترغيب والترهيب.

وينقص بالمعصية، أي إنّ المعاصي تُنقص الإيمان؛ سواء كانت المعاصي ظاهرة أو معاص باطنة، فإنها تُنقص الإيمان؛ كما قال النبيُّ ﷺ: « **لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ** » أي كامل الإيمان، «**وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(١) أي كامل الإيمان.

هذا قول أهل السنة والجماعة، وتلك أدلتهم من الكتاب والسنة.

وعرّفه أهل البدع بتعريفات متعددة، كلها خاطئة وباطلة.

فقالت المرجئة الجهمية: إن الإيمان هو المعرفة؛ معرفة القلب وكفىٰ! يعني من عرف ربَّه بقلبه فهو مؤمن كامل الإيمان. وهذا قول باطل؛ لأن إبليس عرف ربه بقلبه وصرَّح بذلك: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الحجر:٣٦]، بل من لازم قولهم أن إبليس مؤمن كامل الإيمان، وأن كل فاجر وكافر اعترف بالرب أنه كامل الإيمان عند المرجئة الجهمية.

وقالت الكَرَّامية: الإيمان النطق باللسان، أي مَن نطق بلسانه فإنه مؤمن كامل الإيمان. ويلزم علىٰ قولهم هذا أن المنافقين الذين حكم الله عليهم بأنهم في الدرْك الأسفل من النار، بأنهم مؤمنون كاملو الإيمان، وهذا قول باطل وضلال مبين؛ لأنه يلزم عليه كما أسلفت أن المنافقين الذين هم شرُّ الخلق والخليقة أنهم مؤمنون كاملو الإيمان.

---

(١) **البخاري**: كتاب الأشربة، باب وقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ...﴾ حديث رقم (٥٥٧٨).

مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ...، حديث رقم (٥٧)؛ كلاهما من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

وقالت المعتزلة: الإيمان قول واعتقاد وعمل؛ ولكن لا يزيد ولا ينقص، لا يزيد بالطاعة ولا ينقص بالمعصية، لِمَ؟ لأن القاعدة عندهم أنه كلٌّ لا يتجزأ، لا يقبل التجزئة، فلا يقال: «إيمان ناقص» و«إيمان كامل» عند المعتزلة، فأخطؤوا وضلوا عن مذهب أهل السنة والجماعة.

وقالت الأشاعرة ومن معهم: إن الإيمان نطق باللسان واعتقاد، علىٰ خلاف بينهم؛ ولكن لا يدخل العمل في مسمىٰ الإيمان، فمن لازم قولهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ لأنه يزيد بالأعمال الصالحة وينقص بالأعمال السيئة، فإذا كان العمل ليس من مسمىٰ الإيمان؛ فمعنىٰ ذلك عند الأشاعرة ومن وافقهم؛ لا يزيد الإيمان ولا ينقص، مع أنهم يتفقون مع أهل السنة علىٰ أن العمل الصالح يترتب عليه ثواب والعملُ السيئ يترتب عليه عقاب؛ ولكنهم خالفوا أهل السنة والجماعة في التعريف الكامل الشامل.

هذا خلاصة البحث في حقيقة الإيمان باختصار .

وهؤلاء كلهم مرجئة؛ فالجهميَّة والكَرَّامية إرجاؤهم غليظ؛ لأنهم لم يذكروا العمل لا من قريب ولا من بعيد، وبقيَّة الفِرق المذكورة وقعوا في الإرجاء، وخالفوا أهل السنة والجماعة في منهجهم الأصيل الذي تشهد له أدلة الكتاب العزيز والسنَّة المطهَّرة.

وَالْقُرْآنُ كَلامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ بِجَمِيعِ جِهَاتِهِ (١).

(١) هذا معتقد أهل السنة والجماعة، قرره الإمامان -رحمهما الله- (وَالْقُرْآنُ) الفرقان الذي أنزله الله علىٰ نبيِّنا محمد ﷺ، هو كلام الله منزل من الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو حروفٌ وكلماتٌ وألفاظٌ وسُوَرٌ وآياتٌ، كلُّها تكلَّم الله بها حقيقة، وأنزلها وحيًا، وبلَّغها جبريل عليه السلام بلا زيادة ولا نقصان إلىٰ محمد ﷺ، والنبيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بلَّغ القرآن أصحابَه الكرام -رضوان الله عليهم- من فاتحته إلىٰ خاتمته، وهم بلَّغوه مَن بعدهم، وبقي بين أظهر هذه الأمة بدون زيادة ولا نقصان ولا تحريف، يرثه اللاحق عن السابق، ولم يستطع أحد أن يمسَّه بسوء رغم كثرة الأعداء لهذا القرآن؛ لأن الله ﷻ القادر علىٰ كل شيء والقاهر فوق كل شيء حفظ القرآن بل جميع الذكر؛ من القرآن والسنة، وبيَّن لنا ذلك بقوله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

هذا معتقد أهل السنة السائرين علىٰ نهج السلف أن القرآن كلام الله ﷻ منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، بخلاف أهل البدع والضلال، فإنهم قد قالوا في القرآن أقوالًا بغير علم فضلّوا وأضلوا:

إذ منهم من صرَّح بالقول بخلق القرآن **كالمعتزلة**.

ومنهم من أثبت الكلام لله ﷻ ومنه القرآن؛ ولكن علىٰ غير طريقة أهل السنة والجماعة؛ **كالأشاعرة والكُلَّابية والماتوريدية**، قالوا: كلام الله معنىً من المعاني قائم بالنفس، والقرآن الكريم هذا الذي بين أيدينا ألقاه الله علىٰ قلب جبريل، وجبريلُ عليه السلام عبَّر عنه بلغته، وألقاه علىٰ محمد ﷺ وهذا قول

الأشاعرة، أي أن هذا القرآن الذي نقرؤه هو: عبارة عن كلام الله.

وقالت الكُلَّابية: حكايةٌ عن كلام الله، وذلك أن جبريل ألقاه علىٰ محمد ﷺ ومحمد حكاه بلغته؛ لأن القرآن نزل بلغة العرب، قالوا: حكاه للناس بلغته.

وكلٌّ من الأشاعرة والكُلَّابية مبطلون في هذا التأويل والتفسير الباطل؛ بل القرآن الذي نقرؤه هو كلام الله، ليس لأحد فيه حرف واحد، وليس لجبريل عليه السلام ومحمد ﷺ إلا التبليغ، بلَّغوا ما أوحاه الله إليهما، فإذا قرأت: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]؛ تؤمنُ بأنَّ الله هو الذي قال ذلك، فلا يجوز أن نقول: إن هذا المعنىٰ -معنىٰ الآية- عبَّر عنه جبريل عليه السلام ولا حكاه محمد- عليه الصلاة والسلام-؛ ولكن نقول بلَّغه جبريل عن ربه بهذا اللفظ والمعنىٰ، وبلَّغه محمد الأمَّةَ عن جبريل عن رب العالمين، وبلَّغ الأمَّةُ بعضُهم بعضًا بالإقراء إلىٰ يوم القيامة، وليس لأحد في القرآن حرف واحد زاده، أو هو من كلامه؛ ولكنه كلام الله المتعبَّد بتلاوته، المبدوءُ بـ (الحمد) والمختومُ بـ (الجنَّة والناس)؛ هذا مذهب أهل السنة والجماعة، بخلاف أهل البدع والضلال:

فالجهمية الغلاة؛ نفوا عن الله الأسماء والصفات، فلم يثبتوا لله اسمًا ولا صفة، وصنيعهم هذا تكذيبٌ للقرآن الكريم؛ لأن الله ﷻ يقول -وقوله الحق-: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، وأسماؤه دالة علىٰ ثبوت صفاته، وقال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلا وَاحِدًا**

مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[1]، فبطل معتقد الجهمية المعطلة التعطيلَ الكلِّيَّ، واستقام وثبت بالدليل الشرعي معتقدُ الطائفة الناجية المنصورة أهل السنة والجماعة السابقين منهم واللاحقين إلىٰ يوم الدين.

و**المعتزلة** قالوا: القرآن مخلوق، بالإضافة إلىٰ نفي الصفات الذاتية والفعلية عن الله ﷻ.

و**الأشاعرة** قالوا عن القرآن هو : عبارة عن كلام الله.

و**الكلابية** قالوا: حكاية عن كلام الله .

وهذا الكلام كله باطل وليس صوابًا، وما الصواب إلا كلام أهل السنة والجماعة الذين قالوا: القرآن كلام الله منزَّل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو حروف وكلمات وسور وآيات، أنزله الله علىٰ جبريل وبلَّغه جبريلُ عليه السلام محمَّدًا -عليه الصلاة والسلام- وتلقَّته الأمَّة كما وصلنا عن الرسولين ؛ الملكي والبشري عليهما الصلاة والسلام .

وكل ما علّل به **الأشاعرة والكلّابية** وأضرابهم لتأويلاتهم الفاسدة كلام لا حاجة إليه، وليس هو من العلم ولا من الفقه، إنما هو من الضلال، ورِثَه الآخِرون عن الأولين من الضُّلّال والمبتدعين.

فالله ﷻ لا يشبه شيئًا من مخلوقاته حتىٰ يقال: إنه يلزم من إثبات الكلام لله وجودُ حنجرة ووجود شفتين ولسان وكذا وكذا! بل الله ﷻ يتنزَّه

---

(١) رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب: إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ اسْمٍ إِلاَّ وَاحِدًا، رقم (٧٣٩٢)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَفَضْلِ مَنْ أَحْصَاهَا، رقم (٢٦٧٧)، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

عن مشابهة المخلوقات، وهو سبحانه كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فهو يتكلم بدون أن نطلب هذه الحواس والجوارح لتكون لله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ، والله علىٰ كل شيء قدير، أنطق الله ﷻ من لم يكن له لسانٌ من مخلوقاته ولا حنجرة؛ أنطقه الله فتكلَّم وسمعه الناس، فالحصىٰ ليس له شيءٌ من ذلك وقد سَبَّحَ في يد النبيِّ ﷺ، وفي يد أبي بكر، وفي يد عمر، وفي يد عثمان-رضي الله عنهم أجمعين-، سبَّح تسبيحًا يُسمع بلا لسان ولا حنجرة وهو مخلوق من مخلوقات الله[1]، والجِذع-جذع النخلة- الذي كان يخطب إليه النبيُّ ﷺ فلما عُمل له المنبر ورقىٰ عليه حنَّ الجذع وسمعوا له صراخًا كالناقة ولم يسكت، حتىٰ نزل النبيُّ ﷺ وضمَّه إليه فسكت[2]، وأشياء كثيرة جدًّا، كذلك ما يفعل الله بالجوارح يوم القيامة، كما قال الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت:١٩-٢١]، فهذا في حق المخلوق بدون شفتين ولا لسان ولا حنجرة ولا شيء؛ ولكن الله ﷻ أنطقهم، فالله ﷻ لا يجوز أن يُشبَّه بشيء من مخلوقاته، فهو يتكلم كما يشاء

---

(١) رواه البزار في مسنده (٩/ ٤٣٤رقم٤٠٤٤)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٦٠رقم١٢٤٤) وفي مسند الشاميين (٣/ ٧٩رقم١٨٣٧) و(٤/ ٢٤٦رقم٣١٩٨)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٣٠٨رقم١١٤٦)، والبخاري في التاريخ الكبير (٨/ ٤٤٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٦٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ١١٨-١٢٠) من رواية أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

(٢) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ، حديث (٣٥٨٥).

ويريد، وقد تكلّم بهذا القرآن وبغيره من الكتب؛ التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسىٰ، ويكلِّم من شاء من خلقه، ويوم القيامة يكلِّم عباده المؤمنين فردًا فردًا، كما ثبتت بذلك النصوص[1]، فلا حاجة إلىٰ دعوىٰ أن كلام الله هو معنىٰ قائم بالنفس؛ لا لفظ ولا صوت ولا حرف؛ فهذا كله كلام باطل.

فالحمد لله الذي وفَّق أهل السنة والجماعة وورثتهم للقول الحق في هذا الباب وفي غيره.

قوله: (بِجَمِيعِ جِهَاتِهِ) أي حروفه وألفاظه ومعانيه كلُّها كلام الله.

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب كَلاَمِ الرَّبِّ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ، حديث رقم (٧٥١٢) ومسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب الحث علىٰ الصدقة ولو بشق تمرة، حديث رقم (١٠١٦): عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ**» الحديث.

وَقَالا: وَالْقَدَرُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ مِنَ اللهِ ﷻ.(١)

---

(١) **وأما معنىٰ الإيْمان بالقدر خيره وشره**: فهو الاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ قد قدَّر المقادير كلها، أي قد جرىٰ بِها القلم كلِّيَّاتِها وجزئيَّاتِها، علوِّها وسفليِّها، ناطقِها وصامتِها، متحرِّكِها وساكنِها.

وبالتتبع والاستقراء ذكر العلماء أن للقدر أربع مراتب:

المرتبة الأولىٰ: علمُ الله المحيطُ بكلِّ شيء؛ كما قال ﷻ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٩، الأنعام:١٠١]، وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢]، **وقال تعالىٰ**: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [البروج: ٢٠].

والمرتبة الثانية: الإيمان بالكتابة: أي ما كتبه الله في اللوح المحفوظ من خير وشرٍّ، وشقاوة وسعادة، وغنىٰ وفقر، وصحَّة ومرض، وطول عمر وقصره، وكلِّ شيء من الذرَّة إلىٰ أكبر شيء؛ كلُّ ذلك قد جرىٰ به القلم في اللوح المحفوظ، كما قال تعالىٰ ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

والمرتبة الثالثة: الإيمان بالمشيئة: أي بمشيئة الله العامَّة النافذة المرادفة للإرادة الكونية، فالإرادة الكونية والمشيئة العامَّة مترادفتان بمعنىٰ واحد، فما شاء الله ﷻ كان وما لم يشأ لم يكن، ومشيئة العباد تابعةٌ لمشيئة الله، فما شاء الخلق وشاءه الله ﷻ كان، وما شاءه الخلق وأرادوه ولم يشأ الله ﷻ تحقيقه ووقوعه ما كان، ولا يمكن أن يكون، فمشيئة العبد تابعة لمشيئة

الله ﷻ، فهو ليس مسلوب الاختيار والقدرة، وليس له مطلق المشيئة، بل مشيئة العبد تابعةٌ لمشيئة الربِّ - تبارك وتعالىٰ - بدليل قول الله ﷻ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩].

والمرتبة الرابعة: مرتبة الخلق والإيجاد: فالله هو خالق كلِّ شيء من عوالم الأرض والسماء، وعلىٰ رأسها عالَم الإنس، وعالم الجنِّ، وعالم الملائكة، وعالم الشياطين، وعالم الوحش، وعالم الطير، إلىٰ غير ذلك من العوالم التي ثبت وجودها شرعًا وعقلًا وحسًّا، مما علمنا ومما لا نعلم، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

فهذه الأربع المراتب متعلِّقة بالقدر، التي هي علمُ الله المحيط الذي يجب الإيمان به، والكتابةُ في اللوح المحفوظ الذي نعته الله بقوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس:١٢]، والمشيئةُ النافذة المرادفة للإرادة الكونية، والخلقُ والإيجادُ؛ يجب الإيمان بها، وقد دلَّت علىٰ هذه الأربع المراتب نصوصُ القرآن والسنَّة.

فعقيدة أهل السنَّة والجماعة؛ الإيمانُ بالقدر خيره وشرِّه، أي: أنَّ الله قدَّر كلَّ شيء من خير وشرٍّ، قدَّر الكفر بحكمته وعدله، وقدَّر الإيمان برحمته وفضله، وقدَّر الطاعة، وقدَّر المعصية، وقدَّر جميع الأشياء التي يجب الإيمان بتقدير الله وقضائه لها، ولا يجوز إنكار شيء منها. وينبغي لطالب العلم أن يدرس هذا الركن العظيم؛ الإيمان بالقدر دراسة وافية علىٰ أيدي أهل البصيرة؛ حتىٰ يكون عارفًا بما يتعلَّق بالكلام في هذا الركن العظيم.

حقًّا، إنَّ أهل السنَّة والجماعة آمنوا وصدَّقوا بأنَّ كلَّ شيء بقضاء الله وقدره؛ لأنّ الله أخبرهم بذلك، حيث قال -وقولُه الحقُّ-: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]، وقال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢] وقال ﷻ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد:٨]، وإذ كان الأمر كذلك فما بقي شيءٌ في الكون إلا وهو داخل تحت تقدير الله -تبارك وتعالىٰ- من خير وشرٍّ جملةً وتفصيلًا، حتىٰ الشوكة يشاكُها المخلوق فإن الله قد قدَّر زمنها ومكانها، لذا فإن المؤمن يؤجر علىٰ الشوكة التي تصيبه، لعلمه أنها بقضاء الله وقَدَرِهِ، غيرَ أنَّ أهل البدع والضلال خالفوا أهل السنَّة والجماعة في باب الإيمان بالقدر، واشتهرت بالخلاف فرقتان متضادَّتان في القول والمعتقد:

الفرقة الأولىٰ: القدرية.

الفرقة الثانية: الجبرية.

فأمَّا القدرية فافترقت إلىٰ فرقتين، فرقة أشدَّ غلوًّا من الأخرىٰ، إذ قالت الأولىٰ: إنَّ الله لم يقدِّر الخير ولم يقدِّر الشرَّ، وإنما العباد هم الخالقون لأعمالهم خيرها وشرِّها، فضلُّوا ضلالًا بعيدًا.

والأخرىٰ قالت: إنَّ الله خلق الخير وقدَّره ولم يخلق الشرَّ ولم يقدِّرْه، وإنما العبادُ هم الذين يخلقون الشرَّ ويعملونه بمشيئتهم المطلقة، وهؤلاء جميعًا كذَّبوا القرآن الكريم، ومن كذَّب القرآن فقد كفر، ولما سئل عبد الله ابنُ عمر رضي الله عنهما عمّن يقولون: لا قدر وأنّ الأمر أُنُف، غضب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وقال للسائلين: «**أَخْبِرُوهُمْ بِأَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ**

مِنْهُ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»[1] اهـ. وما ذلك إلا لأنَّ القدرية جعلوا مع الله شركاء غير محصورين من البشر، فتشبَّهوا بالمجوس وزادوا عليهم حتىٰ أُطْلِقَ عليهم مجوسُ هذه الأمَّة؛ لأنَّ المجوس قالوا بخالقين خالقٍ للخير وخالقٍ للشرِّ، قالوا: النور يخلق الخير والظلمة تخلق الشرَّ، والقدرية زادوا عليهم في الجُرم فجعلوا مع الله خالقِين غير محصورين من البشر؛ وهو أنَّ كلَّ شخص يخلق فعل نفسه، فعطَّلوا الله - تبارك وتعالىٰ - من خلقه وقدرته، وبطلان هذا المذهب الرديِّ واضح بنصوص الكتاب والسنَّة وإجماع سلف الأمة.

وتقابل هذه الطائفةَ؛ الطائفةُ الجبرية أو المُجبرة، وهؤلاء غَلَوْا في إثبات أفعال الله حتىٰ قالوا: إنَّ الفاعل الحقيقي هو الله، والبشرُ ليسوا بفاعلين علىٰ الحقيقة، بل الفاعل في الحقيقة هو الله، ونِسبة الأعمال إلىٰ الخلق مجازٌ ليست حقيقة، وهؤلاء مذهبهم باطل؛ لأنَّ الله - سبحانه وتعالىٰ - خلق المكلَّفين، وأمرهم ونهاهم، وأنزل عليهم الكتب، وأرسل إليهم الرسل، وأقدرهم ليعملوا الطاعة ويتركوا المعصية، ويفعلوا الخير ويتركوا الشرَّ، أقدرهم علىٰ ذلك؛ فمن عمل الخير فبفضل الله ورحمته ثمَّ بكسبه، ومن عمل الشرَّ فبعدل الله وحكمته ثمَّ بكسبه، وعلىٰ هذا الأساس يترتّب الثواب والعقاب، يثاب المطيع علىٰ طاعته ويستحق العاصي العقاب علىٰ معصيته، ولا واللهِ ما سلبهم الله ﷻ قدراتهم واختياراتهم، بل أعطاهم القدرة علىٰ عمل الخير والشرِّ، وأنزل عليهم الوحي من أجل عمل الطاعة وترك المعصية، فمزاولة الأعمال وكسبها يُنسب إليهم، واللهُ

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب الإسلام والإيمان، (ج١ رقم٨ ص٣٧).

ﷻ هو المقدِّر للخير والشرِّ، فالكافر والمنافق؛ هؤلاء قدَّر الله ﷻ في الأزل أن يكونوا كذلك، ولكنَّه أمرهم في الشرع أن يكونوا مطيعين عاملين بطاعته مبتعدين عن معاصيه، وأعطاهم الله الوسائل التي يستطيعون بها فعل الطاعة وترك المعصية؛ كما قال ﷻ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠] أي: بيَّنَّا له طريق الخير من طرق الشرِّ، وأمره الله باتباع طريق الخير وحذَّره من اتباع طرق الشرِّ في نصوص محكمة؛ قال الله ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام:١٥٣]، جمع لهم بين الأمر بالطاعة والنهي عن المعاصي، وهم قادرون علىٰ ذلك بأدلَّة الشرع والعقل والحسِّ.

والخلاصة: أنَّ نسبة الأعمال إلىٰ العباد نسبةُ عملٍ وكسْبٍ، بقدرة واختيار، والله ﷻ هو المقدِّر، وهو صاحب الفضل والإحسان، فمن وفَّقه الله لعمل الطاعة فذلك فضل من الله - تبارك وتعالىٰ - ورحمة، ومن خذله الله -لأنه أتىٰ بأسباب الخذلان- فذلك عدل من الله وحكمة، ولا يجوز لأحد من الخلق أن يعترض علىٰ قسمة الله فيقول: لماذا حكم علىٰ هذا بالكفر، وحكم لذاك بالإيمان، وهذا بالطاعة وذاك بالمعصية؟ كلُّ هذه الشبهات والوساوس الشيطانية يجب أن يبتعد عنها العبد المسلم، فإن ابتعد عنها فقد قدَّر ربَّه حقَّ قدره وعرف الله - تبارك وتعالىٰ - كما يجب أن يُعْرَفَ عزَّ شأنُه.

ولقد ضربت الجبرية للعامل مثلًا بالشجرة التي تصرفها الرياح، وكالهاوي من أعلىٰ إلىٰ أسفل، أي لا قدرة له ولا اختيار، ومن لازم قولهم رفع اللوم عن العاصي، وهو مذهب سيِّءٌ رديءٌ.

وهنا مسألة تتعلَّق بالاحتجاج بالقدر: لا يجوز الاحتجاج بالقدر في كلِّ شيء، كمن يحتجُّ بالقدر لتسويغ فعل المعاصي، وترك الطاعات؛ لأنَّ هذا دأب المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ﴾ [الزخرف: ٢٠] ونحو ذلك مما يقال فيه: «كلمة حقٍّ أريد بها باطل»؛ فالله هو الذي يشاء وهو الذي يقدِّر، ولكن هو الذي أمر ونهىٰ، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأوجد القدرات لفعل الطاعة وأمر بها، وأوجد القدرات لاجتناب المعاصي وفعلها، ونهىٰ عن فعلها إذن الاحتجاج بالقدر لترك الواجبات أو ارتكاب المحرَّمات ليس من عقيدة المؤمنين، بل من عقيدة المشركين ومن تشبَّه بهم.

وأمّا الاحتجاج بالقدر علىٰ المصائب التي لا اختيار للناس فيها، مثل مصيبة الموت، ومصيبة المرض، ومصيبة الفقر إلىٰ غير ذلك، إذا قال القائل: قدَّر الله علىٰ فلان فمات، وقدَّر عليه فمرض، وقدَّر عليه فافتقر؛ فإنَّ الاحتجاج بالقدر هنا حقٌّ؛ لأنه لا يُسقط واجبًا ولا يُقرُّ باطلًا، وأمَّا الاحتجاج بالقدر علىٰ المعاصي، فقد يمكن في حال من الأحوال وهو فيما إذا فعل العبد المكلَّف معصية من المعاصي، ثمَّ ألهمه الله رشده فتاب منها وأناب فتاب الله عليه، فإذا سُئل بعد ذلك وقال: «قَدَّرَ الله وما شاء فعل» لا حرج عليه، واحتجاجه بالقدر هنا صحيح، والدليل علىٰ ذلك أنَّ الله ﷻ الذي قدَّر علىٰ آدم أبي البشر أن يقع في الخطيئة فأكل من الشجرة فهدىٰ الله قلبه هو وزوجه، فتابا إلىٰ الله كما قصَّ الله علينا ذلك بقوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، فتاب الله ﷻ عليهما وهداهما، فمن كان هذا حاله؛ وقع في المعاصي وتاب منها

وأبدل حاله السيِّء بحالٍ حسنةٍ، ثمَّ لامه لائم واحتجَّ بالقدر؛ فاحتجاجه صحيح، ومن هذا ما جاء في الحديث الثابت عن النبيِّ ﷺ من احتجاج آدم وموسىٰ -عليهما الصلاة والسلام- حيث: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ؛ فَقَالَ لَهُ مُوسَىٰ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَىٰ اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلامِهِ وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ أَتَلُومُنِي عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟! فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ؛ ثَلاثًا**»[1]؛ ذلك لأنَّ آدم قد تاب وأناب وقبل الله توبته، فلا عتاب ولا لوم بعد التوبة، ومن احتجَّ بالقدر بعد حصول التوبة فلا حرج عليه، فكلا النبيَّين -عليهما الصلاة والسلام- مصيب، موسىٰ عليه السلام ما عاتب أباه آدم إلا علىٰ نتيجة الخطيئة لا علىٰ الخطيئة نفسها التي قد تاب منها، بل علىٰ النتيجة التي هي إخراجه وذرِّيَّته من الجنَّة، والله عز وجل هو الذي قضىٰ ذلك، وهو الذي قدَّره لحكمته العظيمة ليكون هذا الكون وهذه الأمم المتعاقبة سبعون أمَّة؛ قال النبيُّ ﷺ: «**أَنْتُمْ تُوَفُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ اللهِ عز وجل**»[2].

وأمَّا ما يتعلَّق به القدرية من الشبهات مثل قول الله - تبارك وتعالىٰ -: ﴿مَآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء:٧٩] أي: أنَّ العبد هو الذي يخلق الشرَّ، وليس الأمر كذلك، وإنما تفسير الآية أن

---

(١) أخرجه البخاري: القدر، باب تحاجّ آدم وموسىٰ عند الله؛ برقم (٦٦١٤) واللفظ له، ومسلم: القدر، باب حجاج آدم وموسىٰ عليه السلام؛ برقم (٢٦٥٢)، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أحمد (٤/ ٤٤٦ و٤٤٧) و(٥/ ٣ و٥)، والترمذي: التفسير؛ من سورة آل عمران، برقم (٣٠٠١) وقال: «هذا حديث حسن»، وابن ماجه في السنن: الزهد؛ باب صفة أمة النبيِّ ﷺ، برقم (٤٢٨٧ و٤٢٨٨).

يقال: ﴿مَآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: الله وفَّقك لها وهداك لفعلها ليثيبك عليها وأنت العامل لهذه الحسنة، وما أصابك من سيِّئة فمن نفسك أي: أنت الذي اقترفت السيِّئة وعملتها، والله هو مقدِّر الحسنات والسيئات، والجزاء بالمثوبة أو العقوبة علىٰ العمل؛ إن كان حسنًا فجزاؤُه المثوبة من الله، وإن كان سيِّئًا فجزاؤه العقوبة عند الله، ويغفر الله لمن يشاء ويرحم، إذن فالمعنىٰ الصحيح ما قاله أهل السنَّة والجماعة في معنىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: إنَّ الله ألهمك ووفَّقك لتعمل هذه الحسنة لتثاب عليها، وأنت أيُّها المكلَّف عملتها بالفعل، والله قد وعدك بقوله: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [فصلت:٢١]، وبقوله: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء:٧] أي: فعليها، ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ أي: أنت الذي عملتها واجترحتها، والله ﷻ لا يجعل عامل السيِّئات كعامل الحسنات؛ كما قال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية:٢١] وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ [فصلت:٣٤].

فالنصوص في باب القدر في غاية الوضوح، ولكن لمن استثمر وقته لتعلُّم أركان الإسلام الخمسة، وأركان الإيمان الستَّة، وركن الإحسان العظيم وطبَّقها تطبيقًا عمليًّا في هذه الحياة، واستمرَّ في تحصيل العلم الشرعي مدة حياته ليصبح عالِمًا ربانيًّا.

وأمَّا الإرادة فنوعان: إرادة كونية، وإرادة شرعية.

والإرادة الكونية هي: المرادفة للمشيئة، وهي التي لا تتخلَّف أبدًا، بل كلُّ ما أراده الله في الكون لابدَّ أن يقع من خير وشرّ، لأنه قد كتبه في اللوح

المحفوظ .

وأما الإرادة الشرعية قد تتخلَّف. وتجتمع الإرادتان في حقِّ المطيع؛ فقد أراد الله كونًا أن يكون مطيعًا، وأراد منه شرعًا أن يكون مطيعًا فأطاع، فاجتمعت الإرادتان في حقِّ المؤمن المطيع، وانفردت الإرادة الكونية في حقِّ العاصي؛ لأنه لم يمتثل ما أراده الله منه شرعًا.

كما أنَّ الهداية - كذلك - هدايتان: الهداية الأولىٰ؛ هداية دلالة وإرشاد وتعليم: وهذه يملكها الله ﷻ، ويملكها البشر، تفضَّل الله عليهم بها فيملكونها، وعلىٰ رأسهم وفي مقدمتهم الرسل الكرام والأنبياء العظام وأئمَّة العلم، أي: يدلُّون البشر علىٰ ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، ويرشدونهم إلىٰ مراد الله منهم، ومراد رسوله - عليه الصلاة والسلام - كذلك، ودليلها قول الله تعالىٰ ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢]، أي تدلّ وترشد إلىٰ الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه، وقوله تعالىٰ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] أي دلّنا وأرشدنا.

والهداية الثانية: هداية التوفيق: وهي التي لا يملكها إلا الله ﷻ، وهي هداية القلوب وهداية الجوارح لصالح الأعمال، هذه ملك لله لا يملكها أحد من الخلق، لا مَلَكٌ مقرَّب ولا نبيٌّ مرسل؛ لذا قال الله لأشرف مخلوقاته: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦]، فمَن دون النبيِّ ﷺ من باب أولىٰ، لا يملك أحد لأحد هداية القلوب، بل لا يملكها إلا علّام الغيوب، كما أسلفتُ قريبًا .

وَخَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنهم وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ.(١)

---

(١) هذا أيضًا بيانٌ لمعتقد أهل السنة والجماعة في أصحاب النبيِّ ﷺ وعلىٰ رأسهم الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم، وأن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، فأفضلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد النبيِّ ﷺ وبعد الأنبياء والرسل، هو خير الأمة، ويليه الفاروق عمرُ رضي الله عنه، ويليهما عثمانُ بنُ عفَّان رضي الله عنه ويليهم عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه، هؤلاء الخلفاء الذين قال في حقِّهم النبيُّ ﷺ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»(١).

فهذا هو إجماع الأمة -الذين يُعتدُّ بإجماعهم- أن ترتيب الخلفاء في الفضل كترتيبهم في الخلافة كما أسلفت قريبًا، وأهلُ السنة والجماعة وسطٌ في أصحاب رسول الله ﷺ بين الخوارج الجفاة والروافض الغلاة والجفاة ؛ بيان ذلك أن أهل السنة يعرفون حقوق الصحابة الكرام، ويذكرونهم بما يليق بهم من الفضل وشرف الصحبة للنبيِّ ﷺ، وحفظ العلم الشرعي، ونقله للذين جاءوا من بعدهم، والجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله،

---

(١) أحمد في المسند (ج٤ ص١٢٦)، وأبو داود في كتاب السنة باب لزوم السنة (ج٤ رقم٤٦٠٧ ص٢٠٠-٢٠١)، والترمذي في العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (ج٥ رقم٢٦٧٦ ص١٠٤٤)، وابن ماجه في المقدمة (ج١ رقم٤٢ ص١٥)، من حديث العِرْباض بن سارية رضي الله عنه.

ونشر الإسلام في بقاع الأرض، ويترضَّون عنهم، ويدعون لهم جزاءَ ما صنعوا، ومكافأةً علىٰ ما ورَّثوا.

ومعرفة أهل السنة والجماعة لقدر أصحاب رسول الله ﷺ معرفةٌ شرعيةٌ ليس فيها غلوٌّ ولا تفريط؛ ومستندهم في ذلك أدلَّةُ الكتاب والسنة:

فالقرآن الكريم أثنىٰ عليهم، ومدحهم الله ونعتهم بأجمل النعوت، ورضي عنهم وأرضاهم؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وجاء نعتهم في السنة المطهرة كذلك، كما قال النبيُّ ﷺ: **«دَعُوا أَصْحَابِي فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَه»**[1].

وكما أسلفت أن أهل السنة والجماعة- السلف الصالح وأتباعهم- يعرفون قدر أصحاب النبيِّ ﷺ، فيرون أن محبتهم فرضٌ فرضه الله ا في القرآن، والترضِّي عنهم من السنن وهدي السلف، ومحبَّتُهم والسكوت عما شجر بينهم؛ هذا كله من هدي السلف الصالح؛ أهل السنة والجماعة،

---

(١) **البخاري**: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبيِّ ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا**»، حديث رقم (٣٦٧٣).

ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة، حديث رقم (٢٥٤١)، كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ومن هدي العلماء الذين جاءوا بعدهم إلىٰ يوم القيامة؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر:١٠]، وعلىٰ رأسهم أصحابُ النبيِّ ﷺ.

وأما الروافض فغلَوْا في أهل البيت، وخصوصًا في عليِّ بن أبي طالب وفاطمة وأبنائهما رضي الله عنهم، وافترقوا ثلاث فرق:

الفرقة الأولىٰ المؤلِّهة: وهم الذين ألَّهوا عليًّا رضي الله عنه، واعتقدوا فيه ما لا يجوز أن يكون لمخلوق؛ لا ملك مقرَّب ولا نبيٌّ مرسل ولا من دونهم، فأحرق عليٌّ رضي الله عنه بعضهم بالنار.

الفرقة الثانية السابّة: وهم من يتقرَّب إلىٰ الله بسبِّ الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويطلقون عليهما وصف الجبت والطاغوت، وصنمي قريش، ويتهمون أصحاب رسول الله ﷺ بالنفاق والتعاون علىٰ الإثم والعدوان، بدعوىٰ أنهم سلبوا الوصية بالخلافة من علي رضي الله عنه لأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

الفرقة الثالثة الزيديَّة: وهم القائلون بتفضيل علي بن أبي طالب علىٰ الشيخين رضي الله عنهم، غير أنهم لا يؤلِّهون عليًّا، ولا يسبُّون الشيخين مثل المؤلهة والسابّة.

فالفرقتان؛ المؤلهة والسابّة بدعُهم تكفِّرهم كفرًا أكبر، وكم لهم من بدع غير ما ذُكر، وأما الزيدية فإن بدعتهم مفسِّقة لا مكفِّرة، إلا الغلاة منهم كالجارودية التي لحقت بالفرقة السابَّة؛ فإن بدعهم تكفِّرهم.

وأما الخوارج فإنَّهم كفَّروا عليًّا ومن معه من الصحابة الكرام، وقاتلوهم واستحلُّوا دماءهم، وهتكوا أعراضهم، ونهبوا أموالهم.

هذا فيما يتعلق بموقف الناس حيال أصحاب النبيِّ ﷺ: طرفان ووسط:

الطرف الأول الخوارج الذي كفَّروا عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه.

والطرف الثاني الذين غلَوْا في حُبِّه حتىٰ رفعوه عن منزلته رضي الله عنه هو وأهل بيته.

والوسط هم أهل السنة والجماعة، فإنهم ليسوا من أهل التفريط ولا من أهل الإفراط؛ بل هم وسط في أصحاب النبيِّ ﷺ، وقالوا فيهم بما جاء في القرآن الكريم وبما جاء في السنة المطهرة، ولم يغيِّروا ولم يبدِّلوا.

❑ أسئلة:

سؤال (١): من قدَّم عليًّا علىٰ عثمان رضي الله عنهما في الفضل فهل يعتبر مبتدعًا؟

الجواب: من قدَّم عليًّا رضي الله عنه علىٰ عثمان رضي الله عنه بعد أن انعقد الإجماع علىٰ تقديم عثمان علىٰ عليٍّ؛ فلا يخلو من حالين:

إما أن يكون من الروافض الاثني عشرية الجعفرية الإمامية، فلا يُلتفت لقوله؛ لأنه من أهل الكفر والفجور والفساد في الأرض، وهو من الفرقة السابَّة الذين يتعبَّدون صباح مساء بلعن وشتم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما اللذين هما خير الأمة بعد نبيِّها محمد ﷺ، والذين يصرِّحون بأن أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها زانية بعد أن برَّأها الله ﷻ في القرآن الكريم في آيات تتلىٰ في سورة النور، وكم لهم من عقائد فاسدة:

منها: ادعاؤهم عصمة الأئمة الاثني عشر، وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم، وأنهم يعلمون متىٰ يموتون.

ومنها: استحلالهم نكاح المتعة وتفضيله علىٰ أنكحة المسلمين بعد أن حرَّمه النبيُّ ﷺ وانعقد الإجماع علىٰ تحريمه.

ومنها: كذبهم علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ أنهم حرَّفوا القرآن الكريم وبدَّلوه، وأنهم نافقوا بعد موت النبيِّ ﷺ، وتعاونوا علىٰ الإثم والعدوان، وسلبوا عليًّا رضي الله عنه حقَّه، وغير ذلك من البدع القواصم.

وإما أن يكون المقدِّم لعليِّ بن أبي طالب علىٰ عثمان بن عفان رضي الله عنهما بعد انعقاد الإجماع من الفرقة الزيدية الذين عدَّهم أهل السنة من الفرق الإسلامية المبتدعة؛ فهذا أخفُّ شرًّا ممن سبق ذكرهم من الروافض الغلاة، ما لم تصل به بدعته إلىٰ الكفر بالله ﷻ كالروافض الغلاة .

فمن كان من الفرقة الأولىٰ (الروافض الغلاة الاثني عشرية الجعفرية الإمامية) فلا اعتبار بأقوالهم في ميزان الإسلام، مع الحكم عليهم بالكفر بسبب عقائدهم الفاسدة التي منها ما سبق ذكره، والتي منها ومن أكبرها الشرك الأكبر المتمثل في تقديسهم أصحاب الأضرحة (القبور) والاستغاثة بهم، وطلب المدد منهم.

ومن كان من الفرقة الثانية (الزيدية) فلا يعوَّل أيضًا علىٰ أقوالهم في تفضيل عليٍّ علىٰ عثمان رضي الله عنهما بعد انعقاد الإجماع علىٰ ترتيب الخلفاء الأربعة في الخلافة والفضل؛ وهو كما يلي: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي -رضي الله عنهم وعن أصحاب نبيِّنا محمد ﷺ أجمعين-.

سؤال (٢): وصفُ الخلفاء الراشدين هل هو خاص بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، أم يدخل فيهم من أمثال عمر بن عبد العزيز؟

الجواب: إذا أُطلق الخلفاء الراشدون فالمراد بهم الخلفاء الأربعة فقط، وما ذكره العلماء عن عمر بن عبد العزيز بأنه يُلحق بالخلفاء الأربعة لما ذُكر عنه من العدل والإنصاف في خلافته حينما كان خليفة علىٰ المسلمين، والحق الذي لا يختلف فيه اثنان، أن جميع أصحاب النبيِّ ﷺ أفضل ممن جاء بعدهم؛ بدليل قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**دَعُوا أَصْحَابِي فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَه**»[1]، ومن جاء بعدهم من أهل الاتباع فله من صفات الفضل بحسب ما قام به من صالح العمل، وما أبلىٰ من البلاء الحسن .

---

(١) سبق تخريجه ص (٣٨).

وَأَنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَشَهِدَ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ عَلَىٰ مَا شَهِدَ بِهِ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ.

المراد بالعشرة الكرام المبشرين بالجنة وهم: أبو بكر الصديق[1]، وعمر الفاروق[2]، .....

---

(١) هو الصحابي الجليل عبدُ الله بن أبي قحافة عثمانَ بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة بن كعب بن لُؤي القرشي التيمي، أبو بكر الصديقُ، أولُ الخلفاء الراشدين، ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر بمكة، كان من سادات قريش وغنيًّا من موسريهم، عالمًا بأنساب القبائل وأخبارها، وكان يلقَّب بعالم قريش، هو أول من آمن بالنبيِّ ﷺ من الرجال، ورفيقه ومؤنسه في الهجرة، ثاني اثنين إذ هما في الغار، أفضل الأمة وخيرها بعد النبيِّ ﷺ، شهد المشاهد كلها، بويع له بالخلافة بعد وفاة النبيِّ ﷺ سنة (١١هـ)، فحارب المرتدين ومانعي الزكاة، وافتتحت في إمارته الشام وقسم كبير من العراق، كان أبيض نحيفًا، خفيف العارضين، معروق الوجه، ناتئ الجبهة، جعدًا مشرف الوركين، خطيبًا لسنًا عارفًا بوجوه الكلام شجاعًا، توفي رضي الله عنه لثمان بقين من جمادىٰ الآخرة سنة (١٣هـ) وهو ابن ٦٣ سنة، خلافته سنتان وثلاثة أشهر وعشرون يومًا. [انظر «فضائل الصحابة» (١/ ٧٦-٧٧) للإمام أحمد بتحقيق وصي الله عباس - الحاشية (١)- و«أسد الغابة» (٣/ ٢٠٥)].

(٢) هو الصحابي الجليل عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العزَّىٰ بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لُؤي ابن غالب القرشي العدوي، أبو حفص أمير المؤمنين الفاروق، ثاني الخلفاء الراشدين، من أيَّد الله به الإسلام وفتح به الأمصار، وهو الصادق المحدَّث الملهم الذي قال فيه المصطفىٰ ﷺ: «**لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمر**» [أخرجه الترمذي كتاب: المناقب عن رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه وسلّم باب: في مناقب عمر بن الخطّاب رضي الله عنه (٣٦١٩) وصححه الألباني، الصحيحة(٣٢٧)].

أحد العشرة المبشرين بالجنة، ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم، دخل في الإسلام قبل الهجرة بخمس سنين، فكان إسلامه عزًّا وقوة للمسلمين وفرجًا من الضيق، وهاجر وشهد المشاهد مع النبي ﷺ، وبويع=

وعثمان ذو النورين[١]، وعلي المرتضىٰ ذو السبطين[٢]،

=له بالخلافة يوم وفاة أبي بكر الصديق سنة (١٣هـ)، هو أول من أرَّخ بالتأريخ الهجري، وأول من دوَّن الدواوين. فتح الشام والعراق والقدس والمدائن ومصر والجزيرة، كان طويلًا يفرع الناس كأنه علىٰ دابة، جسيمًا أصلع أعسر شديد الحمرة، كثير السبلة في أطرافها صهوبة وفي عارضيه خفة، استشهد ﷺ بيد أبي لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة ﷺ غِيلة وهو في الصلاة سنة (٢٣هـ). [انظر: «فضائل الصحابة» (١/ ٢٩٩)- الحاشية (١)].

(١) هو الصحابي الجليل عثمانُ بن عفَّان بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، أمير المؤمنين، ذو النورين صهر رسول الله ﷺ علىٰ ابنتيه، ثالثُ الخلفاء الراشدين، وأحدُ العشرة المبشرين بالجنة، ولد بمكة وأسلم بعد البعثة بقليل، وكان غنيًّا شريفًا في الجاهلية، ومن أعظم أعماله تجهيز جيش العسرة بماله، وصارت إليه الخلافة بعد استشهاد عمر سنة (٢٣هـ) بمشورة من أصحاب رسول الله ﷺ، فافتتحت في أيامه أرمينية وقوقاز وخراسان وكرمان وسجستان وقبرص وغيرها، وأتمَّ جمع القرآن وجمع المسلمين علىٰ مصحف واحد، استشهد ﷺوهو يقرأ القرآن صبيحة عيد الأضحىٰ سنة (٣٥هـ). [انظر: «فضائل الصحابة» (١/ ٥٤٧) -الحاشية رقم (١)- و«أسد الغابة» (٣/ ٣٧٦)].

(٢) هو الصحابي الجليل عليُّ بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو الحسن، أوَّل الناس إسلامًا في قول كثير من أهل العلم، ولد قبل البعثة بعشر سنين -علىٰ الصحيح- فرُبيَّ في حجر النبيِّ ﷺ ولم يفارقه، وشهد المشاهد كلها إلا غزوة تبوك فقال له ﷺ بسبب تأخيره له بالمدينة: «**أَلَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ**» وزوَّجه بنته فاطمة ﷺ، اشتهر بالفروسية والشجاعة والإقدام، كان أحد أهل الشورىٰ الستة الذين نص عليهم عمر، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، استشهد ﷺليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف الشهر. [انظر: «الإصابة» (٤/ ٤٦٤) و«البداية والنهاية» (٧/ ٢٢٣) بتصرف واختصار].

وسعيد بن زيد القرشي العدوي[١]، وسعد بن أبي وقاص القرشي[٢]، وعبد الرحمن بن عوف القرشي وأحد الشورىٰ الستة[٣]، وأبو عبيدة عامر بن الجراح القرشي الفهري أمين هذه الأمة[٤]، والزبير بن

---

(١) هو الصحابي الجليل سعيدُ بنُ زيد بن عمرو بن نُفيل العدوي القرشي أبو الأعور، من خيار الصحابة، هاجر إلىٰ المدينة، أحدُ العشرة المشهود لهم بالجنة، وشهد المشاهد كلَّها إلا بدرًا وكان غائبًا في مهمة أرسله بها النبيُّ ﷺ، كان من ذوي الرأي والبسالة، شهد اليرموك وحصار دمشق، ولاه أبو عبيدة دمشق، ولد بمكة سنة (٢٢) قبل الهجرة، وتوفي رضي الله عنه بالمدينة سنة (٥١هـ). [انظر «الأعلام» للزركلي (٣/ ٩٤)].

(٢) هو سعدُ بن أبي وقاص مالكُ بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري أبو إسحاق الصحابي الجليل، أسلم وعمره ١٧ سنة وشهد بدرًا، أحدُ العشرة المشهود لهم بالجنة وآخرُهم موتًا، كان أحدَ الفرسان، وأولَ من رمىٰ بسهم في سبيل الله، وأحد الستة أهل الشورىٰ الذين سماهم عمر، وقال: «إن أصابته الإمرة فذاك، وإلا فليستعن به الوالي»، وكان رأس من فتح العراق، وولي الكوفة لعمر، ووليها لعثمان، كان رضي الله عنه مستجاب الدعوة بدعوة المصطفىٰ ﷺ له: «**اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لِسَعْدٍ إِذَا دَعَاكَ**»، مات سنة (٥٥هـ) رضي الله عنه وأرضاه. [انظر «فضائل الصحابة» (٢/ ٩٣٥) - الحاشية (٤)-، «أسد الغابة» (٢/ ٢٩٠)].

(٣) هو الصحابي الجليل عبدُ الرحمن بنُ عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري أبو محمد، من أكابر الصحابة، وأحد المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورىٰ الذين جعل عمر الخلافة فيهم، شهد مع النبي - ﷺ -بدرًا وسائر المشاهد، ولد بعد عام الفيل بعشر سنين، وأسلم قديمًا، وهاجر الهجرتين، كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة أو عبد عمرو فسماه الرسول ﷺ بعبد الرحمن، توفي سنة (٣٢هـ) رضي الله عنه وأرضاه. [انظر «فضائل الصحابة» (٢/ ٩٠٨)- الحاشية (١)].

(٤) هو الصحابي الجليل عامرُ بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب ويقال: وُهيب ابن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي الفهري المشهور بكنيته أبي عبيدة بن الجراح، الصحابي السابق إلىٰ الإسلام، أحد العشرة المبشرين بالجنة، شهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها، وولاه عمر رضي الله عنه قيادة الجيش الزاحف إلىٰ الشام بعد خالد بن الوليد رضي الله عنه فتم له فتح الديار الشامية، لقَّبه النبيُّ ﷺ بأمين هذه الأمة، توفي رضي الله عنه بطاعون عمواس بالشام سنة (١٨هـ) رضي الله عنه وأرضاه. [انظر «فضائل الصحابة» (٢/ ٩٢٢)- الحاشية(١)-].

العوام حواري رسول الله ﷺ وابن عمته، وهو من أهل الشورىٰ أيضًا[١]، وطلحة بن عبيد الله[٢] رضي الله عنهم أجمعين.

فمن معتقد أهل السنة والجماعة أن من شهد له النبيُّ ﷺ بالجنة فإنهم يشهدون له بالجنة، تصديقًا لخبر رسول الله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- واقتداء به، ولا يشكُّون ولا يترددون ولا يتوقفون في ذلك، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في كل من شهد له النبيُّ ﷺ ومنهم العَشَرة المبشَّرون بالجنة، وعلىٰ رأسهم الخلفاء الأربعة؛ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين.

وقد جاء في «المسند» و«السنن» ذكر عدد العشرة المبشرين بالجنة فيما رواه سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: أَشْهَدُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنِّي سَمِعْتُهُ

---

(١) هو الصحابي الجليل الزبيرُ بن العوَّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزىٰ بن قُصي بن كلاب القرشي الأسدي أبو عبد الله، حواريُّ رسول الله ﷺ وابنُ عمته صفيةَ بنتِ عبد المطَّلب، الصحابيُّ الشجاع المقدام، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورىٰ لانتخاب الخليفة بعد عمر، هو أول من سلَّ سيفه في الإسلام، شهد بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، كان مُوسرًا وله ألف مملوك، قتله ابنُ جرموز غِيلة بعد الجمل بوادي السباع في جمادىٰ الأولىٰ سنة (٣٦هـ). [انظر «فضائل الصحابة» (٢/ ٩١٤)- الحاشية (١)-].

(٢) الصحابي الجليل طلحةُ بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني أبو محمد، شجاعٌ من الأجواد، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورىٰ الذين سماهم عمر، قال ابن عساكر: «كان من دهاة قريش وعلمائهم، أسلم قديمًا، وكان يقال له: طلحة الجود، وطلحة الخير، وطلحة الفياض، شهد أحدًا وثبت مع رسول الله ﷺ وبايعه علىٰ الموت، وشهد الخندق وسائر المشاهد، استشهد يوم الجمل سنة (٦٣هـ). [انظر «فضائل الصحابة» (٢/ ٨٢٩ ـ ٩٢٩) - الحاشية (١)-و«تهذيب ابن عساكر» (٧/ ١٧)].

يَقُولُ: «عَشَرَةٌ فِي الجَنَّةِ: النَّبِيُّ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، والزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ العَاشِرَ»، قال: فقالوا: من هو؟ فسكت، قال: فقالوا: من هو ؟ فقال: « هو سَعِيدُ بنُ زَيْدٍ»، وقال: «لَمَشْهَدُ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يغبّر فيه وجهه خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمُرَه وَلَوْ عُمِّرَ عُمُرَ نُوحٍ»[1]، وفي الترمذي من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْن عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْد بن أَبِي وَقَّاصٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيد بْن زَيْدٍ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْن الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ»[2] رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) أخرجه أحمد: ١/ ١٨٨ (١٦٣١) و١/ ١٨٨ (١٦٣٧)، وأبو داود: السنة، في الخلفاء؛ برقم (٤٦٤٩) و(٤٦٥٠) واللفظ له، والترمذي: المناقب، باب مَنَاقِبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ الزُّهْرِيِّ رضي الله عنه؛ برقم (٣٧٤٨)، وابن ماجه: المقدمة، باب فَضَائِلِ الْعَشَرَةِ رضي الله عنهم؛ برقم (١٣٤). وانظر صحيح الجامع [(٢/ ٧٧٢) رقم (٤٠١٠)] للشيخ الألباني.

(٢) أحمد في «المسند» (١/ ١٩٣)، والترمذي في الباب السابق حديث رقم (٣٧٤٧). وانظر صحيح الجامع [(١/ ٧١) رقم (٥٠)] للشيخ الألباني.

وَالتَّرَحُّمُ عَلَىٰ جَمِيعِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ (١).

---

(١) المراد بـ«أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ» جمعُ صحابيٍّ، والصحابيُّ: هو من لقي النبيَّ ﷺ مؤمنًا به ولو لحظة ومات علىٰ ذلك، ولو تخللت ردَّةٌ في الأصح.

و«مُحَمَّد»: اسم من أسماء الرسول ﷺ كما قال الله ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام.

الترحُّم والترضِّي علىٰ أصحاب محمد ﷺ: هما سنة السلف الصالح؛ ذلك أن صاحب السنة إذا ذكر أحد الصحابة قال بعد ذكر اسمه مباشرة: «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» وهذا هو الأسلوب الغالب، وقد يزيد: «ورَحِمَهُ اللَّهُ»، وما ذلك إلا لمحبَّتهم لأصحاب رسول الله -عليه الصلاة والسلام- وتقديرهم لهم، وهم في ذلك يستندون إلىٰ نصوص من الكتاب العزيز؛ كقول الله ﷻ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠]. وكقوله: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨].

بخلاف الروافض والخوارج؛ فإن الروافض منهم من ألَّه عليَّ بن

أبي طالب رضي الله عنه، وقد أحرق بعضَهم بالنار غضبًا لله، ومنهم السابَّة وهم الذين يسبُّون خيار صحابة رسول الله ﷺ كأبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة وغيرهم رضي الله عن الصحابة أجمعين، ويتَّهمون سائرهم بالنفاق إلا نفرًا يسيرًا كأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي والمقداد بن الأسود رضي الله عنهم، ولهم من فساد المعتقد وشر المنهج العملي ما حفلت به الكتب المعتبرة من مؤلفات أهل السنة الذين بيَّنوا فساد معتقداتهم؛ كعبادة الأضرحة والحج إليها والاستغاثة بأهلها، والكذب علىٰ الله وعلىٰ رسوله -عليه الصلاة والسلام- كقولهم في أئمتهم: «أنهم يفوقون في الفضل الملائكة المقرَّبين والأنبياء والمرسلين» وغير ذلك من أقوال الكفر الأكبر والشرك الأكبر، فعليهم من الله ما يستحقون في الدنيا والبرزخ والآخرة، وقد سبق بيان ذلك قريبًا .

وقد قامت في هذا الزمن فرقة هالكة منهم؛ ألا وهم «الحوثيون» الذين جمعوا بين معتقد الروافض ومعتقد الخوارج؛ إذ طلعوا بفتنتهم علىٰ دولة اليمن، وتجاوزوا حدود اليمن، واقتحموا الجزء الجنوبي من المملكة العربية السعودية لينشروا عقائدهم الفاسدة، وليتمتعوا بخيرات المملكة حسب زعمهم، فتصدت لهم جنود الإسلام في المملكة العربية السعودية بكافَّة قطاعاتها، ودارت المعارك بينهم ولا زالت دائرة إلىٰ وقت كتابة هذه الأسطر، وجنود التوحيد مطمئنون في قتالهم لهؤلاء الروافض الخوارج؛ إذ إن قتلىٰ جنودنا البواسل جنود الدفاع عن العقيدة والحرمات والوطن المسلم شهداء بإذن الله، وقتلىٰ أولئك الأنجاس صنيعهم شرٌّ لهم وعليهم، في دنياهم وبرزخهم وآخرتهم، وإننا لننتظر النصر المؤزَّر عليهم؛

لأنهم من شر أهل الفساد في الأرض، وشر الأعداء للإسلام والمسلمين، بغيتهم أولًا وآخرًا: إهانة أهل السنة، ونشر عقائدهم الباطلة الفاسدة عقيدة الرفض المعروفة ببطلانها وفسادها ومناوأتها لأهل السنة والحق، فعليهم من الله ما يستحقونه من الطرد والإبعاد، جزاء معتقداتهم واعتداءاتهم علىٰ جزء من أراضي المملكة العربية السعودية الآهل بالسكان المسلمين، قاتل الله الحوثيين وأعوانهم، أنىٰ يؤفكون.

ولقد ورد التصريح بكفرهم في نصوص وآثار سأورد بعضها هنا:

*** فمن الأحاديث:**

١- ما جاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: «**وَيَكُونُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يُسَمَّوْنَ الرَّافِضَةَ، يَرْفُضُونَ الإِسْلامَ، وَيَلْفُظُونَهُ، فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّهُمْ مُشْرِكُونَ**»(١)، وفي لفظ آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ عَلِيٌّ رضي الله عنه فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **يَا عَلِيُّ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي قَوْمٌ يَنْتَحِلُونَ حُبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، لَهُمْ نَبَزٌ يُسَمَّوْنَ الرَّافِضَةَ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّهُمْ مُشْرِكُونَ**»(٢).

٢- وما ثبت عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَظْهَرُ فِي آخِرِ**

---

(١) رواه عبد بن حميد في مسنده (ص٢٣٢رقم٦٩٨) والحارث بن أبي أسامة في مسنده (٢/ ٩٤٥رقم١٠٤٣- البغية) وأبو يعلىٰ في مسنده (٤/ ٤٥٩رقم٢٥٨٦) وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٤٧٥رقم٩٨١) وعبد الله بن أحمد في زوائد فضائل الصحابة (٦٥١ و٧٠٢) والطبراني في الكبير (١٢/ ٢٤٢ رقم١٢٩٩٧) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٥).

(٢) الطبراني في الكبير (١٢/ ٢٤٢ رقم١٢٩٩٨) وعنه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٥)، قال الهيثمي في محمع الزوائد (١٠/ ٢٢): «إسناده حسن».

الزَّمَانِ قَوْمٌ يُسَمَّوْنَ الرَّافِضَةَ يَرْفُضُونَ الإِسْلامَ»(١).

٣- وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيَأْتِي بَعْدِي قَوْمٌ لَهُمْ نَبزٌ يُقَالُ لَهُمُ الرَّافِضَةُ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّهُمْ مُشْرِكُونَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْعَلامَةُ فِيهِمْ؟ قال: «يُقَرِّضُونَكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ، وَيَطْعَنُونَ عَلَىٰ أَصْحَابِي وَيَشْتُمُونَهُمْ»(٢).

* ومن الآثار:

١- ما جاء عن علي رضي الله عنه قال: «سَيَكُونُ بَعْدَنَا قَوْمٌ يَنْتَحِلُونَ مَوَدَّتَنَا يَكْذِبُونَ عَلَيْنَا مَارِقَةٌ آيَةُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَسُبُّونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ»(٣).

٢ - وعن علي بن أبي طالب أيضًا أنه قال: «لَتَفْتَرِقَنَّ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَىٰ مِثْلِ ذَلِكَ، وَأَضَلُّهَا فِرْقَةً وَشَرُّهَا الدَّاعِيَةُ إِلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَشْتُمُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما»(٤)، وما في معناه كثير.

ولقد صرَّح بكفر الرافضة أئمَّةٌ من أصحاب السنة، أذكر بعضهم فيما يلي:

١- قال أحمد بن يونس رحمه الله: «إنا لا نأكل ذبيحة رجل رافضي؛ فإنه

---

(١) عبد الله بن أحمد في الزوائد علىٰ المسند (١/ ١٠٣) وفي السنة (٢/ ٥٤٦-٥٤٧) والبزار في مسنده (٢/ ١٣٨رقم٤٩٩) والآجري في الشريعة ((٥/ ٢٥١٨رقم٢٠١٠)، والداني في «السنن الواردة في الفتن» (٣/ ٦١٣-٦١٤رقم٢٧٨).

(٢) السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٤٧٤ رقم ٩٧٩) والشريعة للآجري (٥/ ٢٥١٧ رقم ٢٠٠٨).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٨/ ١٤٥٤رقم٢٨٠٣).

(٤) الإبانة الكبرىٰ لابن بطة (١/ ٢٩٢رقم٢٨٥).

عندي مرتدٌّ»[١].

٢- قال الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «محنة الرافضة محنة اليهود، قالت اليهود: لا تصلح الإمامة إلا لرجل من آل داود. وقالت الرافضة: لا تصلح الإمامة إلا لرجل من ولد علي بن أبي طالب، وقالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله حتىٰ يخرج المسيح الدجال، وينزل سبب من السماء. وقالت الرافضة: لا جهاد في سبيل الله حتىٰ يخرج المهدي، وينادي منادٍ من السماء»[٢].

٣- وقال أبو بكر المروذي رَحِمَهُ اللَّهُ سألت أبا عبد الله عمن يشتم أبا بكر وعمر وعائشة؟ قال: «ما أراه علىٰ الإسلام»[٣].

٤- قال أبو عبد الله البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: « ما أبالي صلَّيت خلف الجهمي والرافضي أم صلَّيت خلف اليهود والنصارىٰ، ولا يُسلَّم عليهم، ولا يُعادُون[٤]. ولا يُناكحون، ولا يُستشهدون، ولا تؤكل ذبائحم»[٥].

٥- وعن أحمد بن محمد بن سليمان التستري رَحِمَهُ اللَّهُ قال: سمعتُ أبا زرعة يقول: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدَّىٰ إلينا هذا القرآنَ والسننَ أصحابُ رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٨/ ١٤٥٩رقم٢٨١٧).

(٢) السنة للخلال (٣/ ٤٩٦-٤٩٧رقم٧٩١)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٨/ ١٤٦١رقم٢٨٢٣).

(٣) السنة للخلال (٣/ ٤٩٣رقم٧٧٩). إسناده صحيح.

(٤) قوله: (ولا يُعادُون) من العيادة لا العداوة فهي مطلوبة.

(٥) خلق أفعال العباد للبخاري (ص٣٥).

شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرحُ بهم أولىٰ، وهم زنادقة»[١].

٦- وجاء عن هارون بن زياد: سمعت الفريابي ورجل يسأله عمن شتم أبا بكر. قال: كافر، قال: فيصلَّىٰ عليه؟ قال: لا، وسألته كيف يُصنع به وهو يقول لا إله إلا الله؟ قال: لا تَمَسُّوه بأيديكم، ارفعوه بالخشب حتىٰ تُواروه في حفرته»[٢].

٧- وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «هم - يعني الرافضة - الذين يتبرأون من أصحاب محمد ﷺ، ويسبُّونهم، وينتقصونهم، ويُكفِّرون الأئمة إلا أربعة: عليٌّ وعمَّار والمقداد وسلمان، وليست الرافضة من الإسلام في شيء»[٣].

وأما الخوارج أصحاب المنهج التكفيري للمسلمين، وعلىٰ رأس المسلمين الذين حكم عليهم الخوارجُ بالكفر بعضُ أصحاب رسول الله ﷺ كعليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن اشترك معه في قتالهم يوم النهروان، وبقي الخوارج يخرجون بين وقت وآخر علىٰ المسلمين، يكفِّرونهم ويقتلون من ظفروا به من المسلمين والمسلمات، فهم من أشد الأعداء لأهل الإسلام والسنة، لذا تراهم يتصدَّون لقتالهم، ويدَعون أهل الأصنام والأوثان؛ كما قال النبيُّ ﷺ في وصفهم: «**يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلامِ وَيَدَعُونَ**

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في الكفاية في علم الرواية (ص٤٩)، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٢).

(٢) السنة للخلال (٣/ ٤٩٩رقم٧٩٤).

(٣) رواه ابن أبي يعلىٰ في طبقات الحنابلة (١/ ٣٣) في جملة من العقائد، من رواية أبي العباس الاصطخري.

عَبَدَةَ الأَصْنَامِ وَالأَوْثَانِ»[١]، وقد ذمَّهم النبيُّ ﷺ في أحاديث كثيرة منها:

١- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الأَحْلامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ النَّاسِ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَمَنْ لَقِيَهُمْ فَلْيَقْتُلْهُمْ؛ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ عِنْدَ اللهِ لِمَنْ قَتَلَهُمْ»[٢].

٢- عن أبي سلمة قال: قلت لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه: هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ فِي الْحَرُورِيَّةِ شَيْئًا؟ فَقَالَ: سَمِعْتُهُ يَذْكُرُ قَوْمًا يَتَعَبَّدُونَ يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاتَهُ مَعَ صَلاتِهِمْ وَصَوْمَهُ مَعَ صَوْمِهِم، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، أَخَذَ سَهْمَهُ فَنَظَرَ فِي نَصْلِهِ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، فَنَظَرَ فِي رِصَافِهِ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، فَنَظَرَ فِي قِدْحِهِ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، فَنَظَرَ فِي الْقُذَذِ فَتَمَارَىٰ هَلْ يَرَىٰ شَيْئًا أَمْ لا»[٣].

٣- عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي -أَوْ سَيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي- قَوْمًا يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد، باب قول الله تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، حديث (٧٤٣٢)، ومسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٤)، والترمذي: في الفتن باب في صفة المارقة، حديث رقم (٢١٨٨)، وقال: «حسن صحيح». وابن ماجه: في المقدمة باب في ذكر الخوارج، حديث رقم (١٦٨). قال الشيخ الألباني: «صحيح». صحيح سنن ابن ماجه (١٣٨/ ١٦٤).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٣)، وابن ماجه: في المقدمة باب في ذكر الخوارج، حديث رقم (١٦٩). وأبو يعلىٰ في مسنده (١٢٣٣ و١٢٨١). قال الشيخ الألباني: «صحيح». صحيح سنن ابن ماجه (١٣٩/ ١٦٥).

الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ثُمَّ لا يَعُودُونَ فِيهِ هُمْ شِرَارُ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ. قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الصَّامِتِ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَافِعِ بْنِ عَمْرٍو أَخِي الْحَكَمِ بْنِ عَمْرٍو الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه، فَقَالَ: وَأَنَا أَيْضًا قَدْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ»(١).

٤- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيَقْرَأَنَّ الْقُرْآنَ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»(٢).

٥- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ وَهُوَ يَقْسِمُ التِّبْرَ وَالْغَنَائِمَ وَهُوَ فِي حِجْرِ بِلالٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ! فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ! فَقَالَ: وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ بَعْدِي إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟! فَقَالَ عُمَرُ دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ حَتَّىٰ أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ هَذَا فِي أَصْحَابٍ أَوْ أُصَيْحَابٍ لَهُ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»(٣).

٦- عن ابن أبي أوفىٰ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الْخَوَارِجُ كِلابُ النَّارِ»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في الزكاة باب الخوارج شرّ الخلق والخليقة، حديث برقم (١٠٦٧).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٥٦)، وابن ماجه في المقدمة باب في ذكر الخوارج، حديث رقم (١٧١). قال الألباني في صحيح ابن ماجه (١٤١/ ١٦٧): «(صحيح) الصحيحة: ٢٢٠١».

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٤)، وابن ماجه في المقدمة باب فِي ذِكْرِ الْخَوَارِجِ، حديث رقم (١٧٢). ورواه مسلم في الزكاة باب ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، حديث رقم (١٠٦٣) نحوه.

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٣٥٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٧٣٠)، وعنه ابن ماجه في المقدمة باب فِي ذِكْرِ الْخَوَارِجِ، حديث برقم (١٧٣)، وكذا ابن أبي عاصم في السنة

٧- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**يَنْشَأُ نَشْءٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ**. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً، حَتَّىٰ يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَالُ»(١).

٨- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَوْ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ أَوْ حُلُوقَهُمْ سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ إِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ -أَوْ إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ- فَاقْتُلُوهُمْ**»(٢).

٩- عن أبي غالب عن أبي أمامة رضي الله عنه يقول: **شَرُّ قَتْلَىٰ قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ وَخَيْرُ قَتِيلٍ مَنْ قَتَلُوا، كِلابُ أَهْلِ النَّارِ، قَدْ كَانَ هَؤُلاءِ مُسْلِمِينَ فَصَارُوا كُفَّارًا. قُلْتُ: يَا أَبَا أُمَامَةَ هَذَا شَيْءٌ تَقُولُهُ؟! قَالَ: بَلْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ**»(٣). قال الشيخ الألباني: حسن

فأنت ترىٰ أيها القارئ الكريم ما ثبت في السنن والآثار وأقوال أئمة

(٩٠٤- الظلال) وهو منقطع، لكن أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده برقم (٨٢٢)، ومن طريقه ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٤٣٨رقم٩٠٥- الظلال)، ورواه أحمد (٤/ ٣٨٢)، والحاكم (٣/ ٦٦٠رقم٦٤٣٥)، الثلاثة من طريق آخر موصول، وحسنه الألباني في ظلال الجنة برقم (٩٠٥) وذكر أن له شاهدًا من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وهو الآتي بعده بحديثين.

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب في ذكر الخوارج، حديث رقم (١٧٤)، ورواه أحمد (٢/ ٨٤) نحوه في حديث طويل.

(٢) أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب في ذكر الخوارج، حديث رقم (١٧٥)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٤٥/ ١٧١).

(٣) أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب في ذكر الخوارج، حديث رقم (١٧٦)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٤٦/ ١٧٢).

العلم، من الحكم علىٰ الروافض بالكفر والفساد في الأرض، وأنهم يتديَّنون ببغض أهل السنة والجماعة، بل وبسبِّ خيارهم كأبي بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان ذي النورين، وعائشة أم المؤمنين، وحفصة أم المؤمنين -رضي الله عنهم أجمعين-، وغيرهم من أصحاب النبيِّ ﷺ الذين هم أفضل القرون بشهادة النبيِّ ﷺ بذلك، وإذ كان الأمر كذلك؛ فليس لأحد أن يشك في كفر الروافض؛ عليهم من الله ما يستحقون.

كما رأيت وسمعت أيها القارئ النصوص الواردة في ذمِّ الخوارج وبيان أنهم شر الخلق والخليقة، وأنهم كلاب النار، وأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وأنهم موصوفون بكل وصف ذميم- مصدر وصفهم بهذا- سنَّةُ رسول الله ﷺ، وإذ كان الأمر كذلك؛ فلا يرتاب أحد من المسلمين في كونهم من أهل سفك الدماء المحرمة، والفساد العريض في الأرض، فعليهم من الله ما يستحقون من العقوبات العاجلة والآجلة، والحذرَ الحذرَ من الدفاع عن الطائفتين المذكورتين، وانتحال الأعذار لهم بالتأويلات الفاسدة التي ليس لها مستند من كتاب أو سنة.

وَعَلَىٰ آلِهِ وَالْكَفُّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ. (١)

---

(١) والمراد بآل محمد ﷺ هم أتباعه الناصرون لما جاء به، والداعون إليه بصدق وإخلاص إلىٰ يوم القيامة؛ سواء كانوا من العرب أو من العجم، ويدخل في ذلك دخولًا أوليًّا أهل بيته، وقرابته، وأزواجه، وذريته، كما يدخل أيضًا أصحابه الكرام من المهاجرين والأنصار، وقديمًا قيل:

آلُ النَّبِيِّ هُمْ أَتْبَاعُ مِلَّتِهِ ... عَلَىٰ الشَّرِيعَةِ مِنْ عَجَمٍ وَمِنْ عَرَبِ

لَوْ لَمْ يَكُنْ آلُهُ إِلا قَرَابَتُهُ ... صَلَّىٰ الْمُصَلِّي عَلَىٰ الطَّاغِي أَبِي لَهَبِ

ولقد أوصىٰ رسول الله ﷺ بأهل بيته خاصة فقال: «**أَمَّا بَعْدُ؛ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**». فَحَثَّ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**». رواه مسلم[1].

وحقًّا إن من منهج أهل السنة والجماعة الذي اتفق عليه أولهم وآخرهم؛ ما صرَّح به شيخ الإسلام الإمام المجدد أحمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية -رحمهما الله- إذ قال: «وإن من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبُّون أهل بيت النبيِّ ﷺ، ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ»[2].

---

(١) في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث رقم (٢٤٠٨)، من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(٢) العقيدة الواسطية (٣/ ١٥٤-مجموع الفتاوىٰ).

كما أورد ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ قول النبيِّ ﷺ وهو يخاطب عمَّه العبَّاسَ وقد اشتكىٰ إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم، فقال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحِبُّوكُمْ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي**[1]»[2].

وقال الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَاجِبٌ عَلَىٰ كُلِّ الْمُسْلِمِينَ مَحَبَّةُ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ، وَإِكْرَامُهُمْ وَاحْتِمَالُهُمْ، وَحُسْنُ مُدَارَاتِهِمْ، وَالصَّبْرُ عَلَيْهِمْ، وَالدُّعَاءُ لَهُمْ»[3].

فهذه النصوص ونظائرها في كتب أهل السنة، أدلة صريحة علىٰ حسن اعتقاد أهل السنة والجماعة؛ أهل الحديث والأثر في أصحاب رسول الله ﷺ عمومًا، وفي أهل بيت النبيِّ ﷺ خصوصًا.

فتبًّا للروافض الذين يدَّعون أن غيرهم لا يحبُّون قرابة النبيِّ ﷺ ولا يتولونهم، وتبًّا للخوارج الذين نصبوا العداوة قولًا وفعلًا لقرابة النبيِّ ﷺ كما في موقفهم من الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقتالهم له.

وقول المؤلفين: (**وَالْكَفُّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**) هو بيانٌ لموقف أهل السنة والجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وأنهم لا يخوضون فيما شجر بينهم من الحروب أو الخلافات التي حصلت بينهم، وكلٌّ منهم علىٰ تأويل، والمصيب له أجران والمخطئ له أجر وخطؤه معفوٌّ عنه فيه، ولا يجوز أن يخوض المسلمون في الوقائع والخلافات التي حصلت بين

---

(١) المصدر السابق.

(٢) رواه ابن ماجه في السنن: المقدمة باب فضل العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم (١٤٠)، وأحمد في فضائل الصحابة (١٧٥٧) وعبد الله في زوائد الفضائل (١٧٩٢ و١٧٩٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٨٥رقم٦٩٦٠ و٦٩٦١).

(٣) الشريعة (٥/ ٢٢٧٦).

أصحاب النبيِّ ﷺ ولا يسيئون بهم الظن، ولا يحاكمونهم بعد وفاتهم، ولا في حال حياتهم، وإنما يعتقدون فيهم ما ذكره أهل السنة من السُّكوت عمَّا شجر بينهم، ومحبَّتُهم، واعتقادُ أن ما حصل منهم فهو علىٰ التأويل، كلُّ واحد تأوَّل شيئًا من النصوص؛ فالمصيب له أجران، والمخطئ له أجر وخطؤه معفوٌّ عنه فيه.

المناقشة:

سؤال (٣): أحسن الله إليك، من ادَّعىٰ دعوىٰ أنه محبٌّ للصحابة وأنه يمسك عما شجر بينهم، غير أنه إذا أراد أن يمثِّل بمثل سيِّء جاء بالصحابة وضرب بهم الأمثلة وبما وقع بينهم، فهل يعدُّ هذا محبًّا للصحابة؟

الجواب: هذا يتنافىٰ مع السكوت عما شجر بينهم، وعمومًا أن كل من ذكر الصحابة الكرام بقول أو فعل فيه إساءةٌ إليهم؛ فقد وقع في المحذور الذي حذرت منه نصوص الكتاب والسنة.

سؤال (٤): بالنسبة للترضِّي هل هو خاصٌّ بالصحابة؟

الجواب: هذا هو الأصل؛ ولكن يجب أن يُعلم أن الترضي دعاء، فإذا ترضَّىٰ شخص عن عالم من العلماء أو إمام من الأئمة؛ فلا حرج عليه في ذلك لأنه دعاء، فإذا قلت مثلًا: قال الإمام أحمد رضي الله عنه أو الإمام الشافعي أو الإمام أبو عمرو الأوزاعي أو أبو حاتم الرازي رضي الله عنهم، فلا حرج لأنه دعاء؛ غير أن الذي مشىٰ عليه السلف أنهم لا يمرُّون باسم صحابي أو صحابيَّة إلا وصرَّحوا بالترضِّي عنه وعنها، واضعين أمام أعينهم قول الحق تبارك وتعالىٰ في حق أصحاب النبي ﷺ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ

فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

وطريقة السلف وأهل السنة والجماعة أنهم لا يشهدون لأحد بالجنة، إلا من شهد له القرآن أو شهد له النبيُّ ﷺ علىٰ انفراده، أما علىٰ سبيل العموم فإن المؤمنين يشهدون أن كل مؤمن مات علىٰ الإيمان فهو في الجنة؛ لأن الله أخبرنا عن ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف:١٠٧].

فالمؤمن يقرأ القرآن ويقول بما قال به القرآن الكريم، بقطع النظر عن الأفراد فلان بن فلان في الجنة.. فلان بن فلان في الجنة، ولهذا النبيُّ ﷺ لا يقول ذلك إلا بوحي؛ لما جاء عُكَّاشة بن محصن رضي الله عنه وقال: اُدْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ -يعني من السبعين ألفا- قَالَ: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**»، فَقَامَ رَجُلٌ آخَرُ قَالَ: اُدْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. قَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**»[1] فالشهادة بالتعيين والتخصيص لأقوام، نقف مع القرآن والسنة، وما عدا ذلك، كل مؤمن ومؤمنة وعلىٰ رأسهم الصحابة الكرام في الجنة عمومًا بشهادة القرآن.

سؤال (٥): من شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة فهل نشهد لهم بما شهد به الرسول ﷺ؟

الجواب: نعم؛ من شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة نشهد لهم بالجنة تأسيًّا بالرسول ﷺ، وتصديقًا لخبره فيما أخبر، وذلك كالعشرة المبشَّرين بالجنة، وأفراد شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة تصديقًا لخبر الصادق

---

(١) **البخاري**: كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب، حديث رقم (٦٥٤١).
مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل علىٰ دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، حديث رقم (٢١٦). كلاهما من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

المصدوق عليه الصلاة والسلام، وذلك مثل عُكَّاشة بن محصن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وماعز والغامدية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا [١]، والجارية التي كانت تصرع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وافقت علىٰ ما قاله النبيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ولها الجنة، لا نشك في هذا، قال: «**تَصْبِرِينَ وَلَكِ الجَنَّة؟**» قَالَتْ: أَصْبِرُ، أُدْعُ اللهَ أَنْ لا أَتَكَشَّفَ[٢]؛ إذن فلها الجنة، فهي شهادة.

سؤال (٦): إذا ذُكِر أصحاب الرسول ﷺ في مجلس، هل يلزم علىٰ كل واحد أن يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؟

الجواب: لا يلزم لزومًا ولكن يُستحب لما فيه من الفضل، وترسيخ المحبة وإعلانها، فإذا ذُكر واحد يقال: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإذا ذُكر جماعة يقال: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بلفظ واحد .

سؤال (٧): قولُ: (سيِّدنا) محمد -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- هل هي مشروعة؟

الجواب: لا حرج علىٰ من قال: سيِّدنا محمد عليه الصلاة والسلام، لكن لا يقال في الصلاة الإبراهيمية؛ لأن لفظ (سيد) لم يرد فيها، والأقوال والأفعال في الصلاة توقيفية، وأما خارج الصلاة؛ فإنه يُقال: سيِّدنا محمد ﷺ؛ لما ثبت

---

(١) انظر قصتهما في صحيح مسلم: كتاب الحدود، باب مَن اعترف علىٰ نفسه بالزنا، حديث رقم (١٦٩٥).

(٢) **البخاري**: كتاب المرضىٰ، باب فضل من يصرع من الرِّيح، حديث رقم (٥٦٤٨).
مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن بما يصيبه من مرض أو حزن..، حديث رقم (٢٥٧٦)؛ كلاهما من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ»[١].

سؤال (٨): ما الجمع بين قول النبيِّ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ» وبين حديث وفد بني عامر لما قالوا: أَنْتَ سَيِّدُنَا. فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ .. الحديث»[٢] ؟

الجواب: الجمع بين الحديثين هو: أن من خُشي عليه فتنة الغلوِّ في الشخص؛ فلا يجوز له أن يخاطبه بسيد، ومن لم تُخش عليه الفتنة فلا حرج أن يُقال له سيد، وقد ثبت أن النبيَّ ﷺ قال لبعض أصحابه: «قُومُوا إِلَىٰ سَيِّدِكُمْ»[٣]، ويمكن أن يكون الغرور من المقول له سيِّد، فيقع في المحذور، فإذا انتفىٰ الغلوُّ من القائل والغرور من المقول له؛ فلا حرج من إطلاق كلمة (سيد) علىٰ الشخص، وأن الرسول -عليه الصلاة والسلام- خاف علىٰ وفد بني عامر أن يقعوا في الغلوِّ في شخصه فيقعوا في الإثم.

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٢)، والترمذي: كتاب المناقب باب في فضل النّبيّ ﷺ، حديث رقم (٣٦١٥)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، حديث رقم (٤٣٠٨)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٣٦٩-٣٧٠رقم٧٩٣) وأبو يعلىٰ في مسنده (١٣/ ٤٠١رقم٧٤٩٣) وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٣٩٨رقم٦٤٧٨)، من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه. قال الشيخ الألباني في ظلال الجنة (٢/ ٣٧٠): صحيح.
ورواه مسلم: كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبيِّ ﷺ، حديث رقم (٢٢٧٨). دون «وَلَا فَخْرَ»، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد (٤/ ٢٥) **وأبو داود:** كتاب الأدب، باب في كراهية التمادح، حديث رقم (٤٨٠٦). قال الشيخ الألباني: «صحيح». صحيح الجامع (٣٧٠٠).

(٣) أخرجه البخاري في الاستئذان باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «قُومُوا إِلَىٰ سَيِّدِكُمْ»، حديث رقم (٦٢٦٢)، ومسلم في الجهاد والسير باب جواز قتال من نقض العهد..، حديث رقم (١٧٦٨)، كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وَقَالا: وَأَنَّ اللهَ ﷻ عَلَىٰ عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ-، بِلا كَيْفٍ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ:١١].

كلام المؤلفين رحمهما الله: «وَأَنَّ اللهَ ﷻ عَلَىٰ عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، بِلا كَيْفٍ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ:١١]». فيه بيانٌ لمعتقد أهل السنة والجماعة في إثبات صفات الله عمومًا الواردة في الكتاب والسنة، وفي استواء الله علىٰ عرشه خصوصًا، كما فيه بيان أيضًا لمعتقدهم في إثبات صفات الله الفعلية؛ ومنها صفة الاستواء لله -تَبَارَكَ وتَعَالىٰ- علىٰ عرشه حقيقةً بلا تشبيه ولا تكييف ولا تحريف ولا تعطيل، بل كما علَّمنا سبحانه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ:١١]. وقد ورد لفظ الاستواء في القرآن الكريم في سبعة مواضع في كل منها المراد به الصفة لله عز وجل، منها: قولُ الله ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه:٥]، أي استواءً يليق بعظمته وجلاله، وهكذا القول في كل صفة لله ذاتية أو فعلية، كما دلَّ قولُ المؤلفين: «أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا» علىٰ بيان معتقد أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات الذاتية لله؛ ومنها صفة العلم، فإن علمه محيط بجميع مخلوقاته، لا يخفىٰ عليه شيء من ذواتهم ولا من أفعالهم ولا من تصرفاتهم جميعًا؛ بل الله -تَبَارَكَ وتَعَالىٰ- أحاط بكل شيء علمًا وأحصىٰ

كل شيء عددًا، لا يعزب عنه مثقالُ ذرَّة في الأرض ولا في السماء، فعلمُه صفةُ ذاتٍ تليق بعظمة الله وجلاله، وما أوتي الخلقُ من العلم إلا قليلًا؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥]، وكل علم أورثه الله خلْقه فهو من علمه تَبَارَكَ وتَعَالىٰ؛ كما قال الله ﷻ لنبيِّه محمد ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]، وهو العلم الشرعي؛كتاب الله ﷻ وصحيح سنة النبيِّ ﷺ.

هذا معتقد أهل السنة والجماعة في هذا الباب العظيم؛ باب الأسماء والصفات، بخلاف أهل البدع والضلال؛ فإنهم حرَّفوا وأوَّلوا وشبَّهوا وعطَّلوا كالجهمية الضالة، والمعتزلة أتباع الجهمية، ومن شابههم في تأويل بعض الصفات كالأشاعرة والكُلابية والماتُريدية، الذين أوَّلوا تأويلًا فاسدًا خالفوا فيه أهل السنة والجماعة، ودخلوا مع المعطّلة بالتعطيل الجزئي .

إذن التأويل تأويلان في هذا الباب:

تأويل صحيح: وهو بيانُ الحق في هذا الباب، وهو تأويل السلف أي بيان معاني الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، وهذا هو التأويل السلفي الصحيح، مصدره الكتاب العزيز والسنة المطهرة بفهم علماء السلف الصالح وأتباعهم.

وأما **التأويل الفاسد**: فهو تأويل أهل البدع والزيغ والأهواء؛ كالجهمية المعطِّلة والمعتزلة الضالَّة وغلاة الأشاعرة، وكل من خرج عن منهج أهل السنة والجماعة فتأويله لنصوص الأسماء والصفات تأويل باطل، وهم متفاوتون في ذلك، كما هو معلوم من معتقداتهم الفاسدة التي بيَّن فسادها الراسخون في العلم في كل زمان ومكان كثّر الله سوادهم، وقصم ظهور

أهل الأهواء والبدع إن لم يثوبوا إلىٰ رشدهم، ويقلعوا عن غيّهم .

وأما من وافق أهل الأهواء، من العلماء الكبار في تأويل بعض نصوص الصفات ونحوها؛ فإنهم لا يُصنَّفون معهم، وإنما الواجب بيانُ أخطائهم؛ لئلا يُقتدىٰ بهم فيها، وذلك كابن حجر والنووي والقرطبي والشوكاني -رحمهم الله- ومن شابههم ممن وافقوا الأشاعرة في تأويل بعض نصوص الصفات، والقوم لهم علم بالتفسير والحديث، فيُستفاد من كتبهم ولا يُحذَّر منها كما يُحذَّر من كتب أهل البدع والأهواء ممن سبق ذكرهم، ويصنَّفون من العلماء الكبار، لما لهم من الرصيد العظيم من علوم الشريعة ووسائلها، وفوق كل ذي علم عليم.

وأما أهل البدع الذين قعَّدوا قواعدها استنادًا إلىٰ العقليات، وتركوا نصوص الكتاب والسنة، واتبعوا أقوال أهل الفلسفة والكلام؛ فهؤلاء يحذَّر منهم ومن كتبهم، كما يُحذَّر من كل مبتدع، سواء في هذا الباب أو في غيره.

وفي الجملة التي أوردها المؤلِّفان من الآية الكريمة من سورة الشورىٰ وهي قولُ الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ردٌّ علىٰ طائفتين من طوائف الضلال وهما: المشبهة والمعطِّلة؛

فقولُه تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ ردٌّ علىٰ المشبهة، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ردٌّ علىٰ المعطِّلة.

والمشبِّهة قسمان:

قسمٌ شبَّهوا الخالق بالمخلوق؛ إذ قالوا: له يدان كأيدينا، وعينان

كأعيننا، وسمع كسمعنا، وبصر كأبصارنا، وهلمَّ جرًّا، وهو فهم فاسد، ومعتقد شيطاني باطل، وقد صرَّح بكفرهم بعضُ أئمة السلف؛ فقال نُعيمُ بن حماد شيخُ البخاري: « مَنْ شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ»(١).

القسم الثاني: المشبِّهة الذين شبَّهوا المخلوق بالخالق؛ وهم النصارىٰ الضالون الذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة:١٧].

والمعطِّلة قسمان:

أهل التعطيل الكلِّي، وأهل التعطيل الجزئي.

فأهل التعطيل الكلِّي قسمان:

قسم نفوا عن الله جميع الأسماء والصفات: وأثبتوا لله ذاتًا مجرَّدة عن الأسماء والصفات، وهم الجهمية أتباع الجهم بن صفوان، الذين مصدر علمهم من اليهود.

وقسم نفوا عن الله جميع الصفات: وهم المعتزلة الضالة، الذين أثبتوا لله أسماء مجرَّدة عن المعاني؛ إذ قالوا: الله عليم بذاته بلا علم، وقدير بلا قدرة، وسميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وهلمَّ جرًّا، فضلوا بذلك ضلالًا بعيدًا، بالإضافة إلىٰ قولهم بخلق القرآن الكريم؛ والقول بخلق القرآن الكريم تكذيب للقرآن الكريم، فقد أخبرنا الله بأنه أنزله ولم يخبرنا أنه خلقه؛ وذلك في مواضع كثيرة من القرآن.

كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر:١].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (٣/ ٥٣٢رقم٩٣٦- شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي).

وكقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان:٣]، فتبين بذلك معتقدهم الفاسد.

والقسم الثاني من أقسام التعطيل: التعطيل الجزئي:

كتعطيل الأشاعرة والماتُريدية؛ إذ إنهم أثبتوا بعض الصفات لله وأوَّلوا أكثرها تأويلًا باطلًا لم يستندوا فيه إلىٰ كتاب أو سنة، وإنما استندوا إلىٰ عقولهم الضالة، فقد أوَّلوا استواء الله علىٰ عرشه بالاستيلاء، وأوَّلُوا صفة النزول، والرضا، والغضب، والضحك، والفرح بتأويلات باطلة، تاركين وراء ظهورهم التأويل الصحيح لهذه الصفات العظيمة التي دلَّ علىٰ ثبوتها كتاب الله الكريم، وسنة رسوله محمد عليه من الله أفضل الصلاة وأزكىٰ التسليم.

وقد عرفتَ أيُّها القارئُ معتقدَ أهل السنة والجماعة في هذا الباب، ومنهجهم الصحيح فيما تقدم تدوينه في هذه الدروس المباركة.

وَاللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ يُرَىٰ فِي الآخِرَةِ، وَيَرَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِأَبْصَارِهِمْ[1] كَلامهُ كَيْفَ شَاءَ وَكَمَا شَاءَ.

وقول المؤلفين: «وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُرَىٰ فِي الآخِرَةِ وَيَرَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِأَبْصَارِهِمْ» بيانٌ لمعتقد أهل السنة والجماعة في إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الجنة، ورؤيتهم له في عرصات القيامة ثابتة بالكتاب والسنة، وما أنكرها إلا أهل البدع والضلال كالجهمية والمعتزلة، وأهل الإلحاد في دين الله .

والحق أن المؤمنين يَرَوْنَ ربَّهم يوم القيامة في عرصات القيامة وفي الجنة، وذلك من أكمل أنواع النعيم الذي يتمتع به المؤمنون في الجنة، فإثبات النظر إلىٰ الله ﷻ؛ هو معتقد أهل السنة والجماعة، السلف الصالح وأتباعهم إلىٰ يوم الدين .

وهم يستندون في ذلك إلىٰ الأدلة من الكتاب والسنة؛ ومن ذلك قولُ الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، الأولىٰ؛ من النضارة وهي الحُسن والبهاء، والثانية؛ من إثبات النظر بعيني البصر لله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ؛ لأن الله يعطيهم في الجنة حياة الكمال التي لم تكن لهم في الدنيا، إذ في الدنيا لا يستطيع أحد من البشر لا من المرسلين ولا ممن دونهم أن ينظر إلىٰ الله؛ ولكن في الجنة يمنُّ الله علىٰ أهل الجنة بالقوة والقدرة والكمال في الخلقة، فينظرون إلىٰ الله نظرًا يتنعمون به وينسون كل نعيم إذا نظروا إلىٰ خالقهم وبارئهم، ومثل هذه الآية قولُ الله تعالىٰ:

---

(١) وفي نسخة: (وَيَسْمَعُونَ كَلامَهُ كَيْفَ شَاءَ وَكَمَا شَاءَ).

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، فقد فسَّر النبيُّ ﷺ الحسنىٰ بالجنة، والزيادة بالنظر إلىٰ وجه الله الكريم، ومثل ذلك أيضًا قولُ الله تعالىٰ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥]، بعد أن ذكر الله الجنة وأخبر بأن لأهلها فيها ما يشاءون من النعيم المقيم قال: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ وفُسِّر ذلك بالنظر إلىٰ وجه الله الكريم.

ومن السنة الكريمة، قولُ النبيِّ ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»[1] فشبه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي.

فهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، بخلاف أهل البدع الذين نفوا عن المؤمنين رؤية ربهم في الجنة كالجهمية والمعتزلة والإباضية، وأهل الإلحاد في آيات الله .

إذا فهم ذلك؛ فإن الناس في رؤية المؤمنين لربهم طرفان ووسط:

الطرف الأول: غلوا في الإثبات، فأثبتوا الرؤية في الدنيا والآخرة، كغلاة الصوفية القبورية .

والطرف الثاني: نفوا رؤية المؤمنين لربهم نفيًا باتًّا، أي أنه لا يُرىٰ لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهم أهل التعطيل من جهمية ومعتزلة وملاحدة.

فالطرف الأول معه بعضُ الحق ومعه باطل، والطرف الثاني معه بعضُ

---

(١) **البخاري**: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق:٣٩]، حديث رقم (٤٨٥١).

مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، حديث رقم (٦٣٣)، كلاهما من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

الحق ومعه باطل، فالحق الذي مع الطرف الأول إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الجنة، والباطل إثباتُهم رؤية زعمائهم لربهم في الدنيا، والحق الذي مع الطرف الثاني أن الله لا يراه في الدنيا أحد من البشر، والباطل الذي معهم نفيُ رؤية المؤمنين ربَّهم في الجنة.

والقول الوسط: هو قول أهل السنة والجماعة، وهو بأن الله -تَبَارَكَ وتَعَالىٰ- يراه المؤمنون في الجنة حقيقة ولا يراه أحد في الدنيا، لقول الله -تَبَارَكَ وتَعَالىٰ- جوابًا لموسىٰ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- عندما قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣]، مما يدل علىٰ أن الله لا يُرىٰ في الدنيا، وأما في الآخرة فيراه المؤمنون في الجنة كما دلت علىٰ ذلك نصوص الكتاب والسنة.

(كَلامهُ كَيْفَ شَاءَ وَكَمَا شَاءَ) في هذه الجملة بيانٌ لمعتقد أهل السنة والجماعة في إثبات صفة الكلام لله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ، فالكتبُ المنزلة كلها من كلام الله ﷻ لا من كلام غيره؛ التوراة التي كتبها لموسىٰ بيده، والإنجيل الذي أنزله علىٰ عيسىٰ، وصحف إبراهيم وموسىٰ، والفرقان الذي أنزله علىٰ محمد -عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- كلُّها كلام الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ.

إذن فالكلام صفة لله -تَبَارَكَ وتَعَالىٰ- تليق بعظمته وجلاله، هو صفة ذات باعتبار اتصاف الله به أزلًا وأبدًا، وصفة فعل باعتبار تكلُّم الله به بمشيئته واختياره متىٰ شاء وكيف شاء ومع من شاء.

هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة؛ أن الله متكلِّم كما أخبرنا ﷻ في

القرآن بقوله الحق: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ [النساء:١٦٤]، وقول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وغير ذلك من نصوص القرآن كثير .

وفي السنة المطهرة كثيرٌ من النصوص التي تدلُّ علىٰ إثبات صفة الكلام لله ﷻ، كقوله ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّه ﷻ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَان**»[1] وكذلك «**يُنَادِي اللهُ ﷻ آدَمَ يوم القيامة فيقول له : يَا آدَمُ اِبْعَثْ بَعْثَ النَّار. فَيَقُولُ: مِنْ كَمْ يَا رَبِّ؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِين**»[2] إلىٰ غير ذلك من النصوص التي تدلّ علىٰ إثبات صفة الكلام لله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ.

ومِن الفِرق من نَفَتْ هذه الصفة عن الله -تبارك وتعالىٰ- نفيًا كليًّا كالجهمية والمعتزلة ومن لفَّ لفَّهم، ومنهم من أوَّلها تأويلًا باطلًا كالأشاعرة والماتُريدية والكُلابية فقالوا: إنَّ الكلام معنىٰ متعلِّق بذات الله لا حرف ولا صوت، فخالفوا أهل السنة والجماعة الذين يعتمدون في أقوالهم علىٰ نصوص الكتاب والسنة.

---

(١) كتاب التوحيد، باب كلام الرّبّ ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، حديث رقم (٧٥١٢) ومسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب الحث علىٰ الصدقة ولو بشق تمرة، حديث رقم (١٠١٦)، كلاهما من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٢) **البخاري**: كتاب الرقاق، باب قوله ﷻ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾، حديث رقم (٦٥٣٠).

مسلم: كتاب الإيمان، باب قوله: «**يَقُولُ اللهُ لآدَمَ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ..**»، حديث رقم (٢٢٢)، كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، وَهُمَا مَخْلُوقَتَانِ لا تَفْنَيَانِ أَبَدًا، فَالْجَنَّةُ ثَوَابٌ لأَوْلِيَائِهِ، وَالنَّارُ عِقَابٌ لأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ إِلا مَنْ رَحِمَ.

قول المؤلفين: (**وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ** ...الخ) فيه بيانُ معتقد أهل السنة والجماعة في الجنة والنار، وأنهما داران مخلوقتان الآن، خلقهما الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ، وقال للجنة: «**أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاء**»، وقال للنار: «**أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ**»[1] فهما مخلوقتان، وموجودتان وقد رآهما النبيُّ ﷺ وذلك من خصائصه؛ فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال في صلاة الكسوف: «**لَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وُعِدْتُمْ بِهِ، حَتَّىٰ لَقَدْ رَأَيْتُنِي أُرِيدُ أَنْ آخُذَ قِطْفًا مِنَ الْجَنَّةِ حِينَ رَأَيْتُمُونِي أَتَقَدَّمُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ**»[2]. وفي لفظ: « **وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ أَفْظَعَ مِنْهَا، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ النِّسَاءُ**، قَالُوا: وَلِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **بِكُفْرِهِنَّ**. قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللهِ؟ قَالَ: **يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَىٰ إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ**. إلىٰ أن قال: **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ يُؤْتَىٰ أَحَدُكُمْ فَيُقَالُ لَهُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ** -أو قَالَ: **الْمُوقِنُ**- فَيَقُولُ: **مُحَمَّدٌ**

---

(١) **البخاري**: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾، حديث رقم (٤٨٥٠).
مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، حديث رقم (٢٨٤٦)، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) **البخاري**: العمل في الصلاة، باب إذا انفلتت الدّابّة في الصّلاة، حديث رقم (١٢١٢).
ومسلم: كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف، حديث رقم (٩٠١)، كلاهما عن عائشة رضي الله عنها.

رَسُولُ اللهِ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ، فَأَجَبْنَا وَآمَنَّا وَاتَّبَعْنَا. فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ صَالِحًا فَقَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُؤْمِنًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ -أَوْ قَالَ: الْمُرْتَابُ- فَيَقُولُ: لا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ»[1].

وأما الجنة فلا تفنىٰ أبدًا ولا يفنىٰ منها شيء؛ لما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ إِذَا رَأَيْنَاكَ رَقَّتْ قُلُوبُنَا وَكُنَّا مِنْ أَهْلِ الآخِرَةِ، وَإِذَا فَارَقْنَاكَ أَعْجَبَتْنَا الدُّنْيَا وَشَمَمْنَا النِّسَاءَ وَالأَوْلادَ. قَالَ: لَوْ تَكُونُوا عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ عَلَىٰ الْحَالِ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا عِنْدِي لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلائِكَةُ بِأَكُفِّهِمْ، وَلَزَارَتْكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ كَيْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ. قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ حَدِّثْنَا عَنِ الْجَنَّةِ، مَا بِنَاؤُهَا؟ قَالَ: الْجَنَّةُ لَبِنَةُ ذَهَبٍ وَلَبِنَةُ فِضَّةٍ، وَمِلاطُهَا الْمِسْكُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلْهَا يَنْعَمْ لا يَبْأَسُ، وَيَخْلُدْ لا يَمُوتُ، لا تَبْلَىٰ ثِيَابُهُ وَلا يَفْنَىٰ شَبَابُهُ، ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّىٰ يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَىٰ الْغَمَامِ وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَوَاتِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلالِي لأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»[2].

بل يبقىٰ في الجنّة فضل ينشئ الله لها خلقا لما ثبت في مسند الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد قال أخبرنا ثابت قال سمعت أنسا يقول عن النبي ﷺ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيَبْقَىٰ مِنْهَا مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَبْقَىٰ ثُمَّ

---

(١) البخاري: كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرّأس، حديث رقم (٨٦)، ومسلم: كتاب الكسوف، باب ما عرض علىٰ النّبيّ ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنّة والنّار، حديث رقم (٩٠٥)، كلاهما عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطيالسي في مسنده (ص٣٣٧رقم٢٥٨٣) وإسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٣١٧رقم٣٠٠) وأحمد (٢/ ٣٠٤) وعبد بن حميد (ص٤١٥رقم١٤٢٠) وابن حبان (١٦/ ٣٩٦رقم٧٣٨٧) والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٤٠٩رقم٧١٠١).

يُنْشِئُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهَا خَلْقًا مِمَّا يَشَاءُ»[١].

وأما النار فهي دركات وطبقات، فما كان منها لأهل الكفر الأكبر والشرك الأكبر والنفاق الاعتقادي والإلحاد المخرج من الملَّة فهي دائمة أبدًا، وإن أهلها لا يموتون فيها ولا يحيون، فهي لا تفنىٰ بل هي باقية؛ كما أخبرنا الله ﷻ في القرآن بقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[٢]، وبقوله: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ:٢٣-٢٦]، وبقوله: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر:٣٦]، وبقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الزخرف:٧٤-٧٦]، إلىٰ غير ذلك من نصوص القرآن الكريم التي فيها إثبات بقاء النَّار التي هي للكفَّار وأنَّها لا تفنىٰ أبد الآبدين.

وأما طبقةٌ من النار فهي تفنىٰ وهي دار العصاة من الموحدين، أعلىٰ طبقة من طبقات النار دار عصاة الموحدين، فإن عقيدة أهل السنة والجماعة في عصاة الموحدين ثبوتُ الشفاعة فيهم، وأنهم يُعذَّبون بقدر ما جَنَوْا من المعاصي، ثم يكون مآلُهم إلىٰ الجنة؛ لأنهم من أهل «لا إله إلا الله محمد رسول الله» كما في أحاديث الشفاعة وغيرها؛ يقول الله تعالىٰ للشافعين: «اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمُوهُ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ» ثم قال: «نِصْفَ دِينَارٍ»[٣]، ثم قال سبحانه: «مَنْ وَجَدْتُمُوهُ فِي قَلْبِهِ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ

---

(١) أخرجه أحمد(١٣٣٥٢) وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة(٢٥٤٠).

(٢) سورة: النساء (١٦٩)، الأحزاب (٦٥)، الجن (٢٣).

(٣) **البخاري**: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، حديث رقم (٧٤٣٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، حديث رقم (١٨٣)، كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

مِثْقَالَ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ»[1] فيُخرجهم الله -تَبَارَكَ وتَعَالىٰ- بفضله ورحمته ثم بشفاعة الشافعين، فلا يبقىٰ في هذه الطبقة أحد من عصاة الموحدين، فهذه الطبقة هي التي تفنىٰ كما هو مقتضىٰ النصوص.

وأما دار الكفار الكفر الأكبر والمشركين الشرك الأكبر وأهل النفاق الاعتقادي، وأهل الإلحاد المخرج من الملَّة؛ فهؤلاء لا يموتون فيها ولا يحيون، ولا تفنىٰ دارهم؛ كما ثبت في النصوص القرآنية والنبوية، وقد ثبت عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إِذَا اسْتَقَرَّ أَهْلُ الجَنَّةِ فِي الجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ أُوتِيَ بِالمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، وَيُوقَفُ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُنَادَىٰ فِي أَهْلِ الجَنَّةِ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا المَوْتُ. وَيُنَادَىٰ فِي أَهْلِ النَّارِ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا المَوْتُ. فَيُذْبَحُ وَهُمْ يُشَاهِدُونَ، فَيُقَالُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ، وَيُقَالُ لِأَهْلِ النَّارِ: خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ**»[2] وهذا الحديث من الأدلة علىٰ أن الجنة لا تفنىٰ أبدًا، وأن دار الكفار -النار- لا تفنىٰ أبدًا، وإنما الطبقة التي لا يبقىٰ فيها أحد وهي دار عصاة الموحدين كما أسلفت؛ لأن الله يخرجهم منها إلىٰ الجنة، وربُّك يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

---

(١) **البخاري**: كتاب التوحيد، باب كلام الرّبّ ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، حديث رقم (٧٥١٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب أدنىٰ أهل الجنّة منزلة فيها، حديث رقم (١٩٣)، كلاهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) **البخاري**: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ [مريم:٣٩]، حديث رقم (٤٧٣٠). مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، حديث رقم (٢٨٤٩)، كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وَالصِّرَاطُ حَقٌّ. (١)

---

(١)قولهما : (وَالصِّرَاطُ حَقٌّ) أي إن أهل السنة والجماعة يثبتونه حقيقة؛ كما ثبت في نصوص الكتاب والسنة، أما الكتاب فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [سورة مريم:٧١-٧٢].

فقد فسر جمهور المفسرين الورود بالمرور علىٰ الصراط، ثُمَّ يصدرون عنها بأعمالِهم، وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ مَأْوَاكُمُ النَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَاكُمْ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة الحديد:١٢-١٥].

قال ابن كثير فِي معنَىٰ الآيات: يقول تعالىٰ مُخبرًا عن المؤمنين المتصدقين أنَّهم يوم القيامة يسعىٰ نورهم بين أيديهم فِي عَرَصات القيامة بحسب أعمالِهم؛ كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قوله تعالىٰ: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال: «عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ يَمُرُّونَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ، مِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلَ الْجَبَلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلَ النَّخْلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلَ الرَّجُلِ الْقَائِمِ، وَأَدْنَاهُمْ نُورًا مَنْ نُورُهُ فِي إِبْهَامِهِ يَتَّقِدُ مَرَّةً وَيَطْفَأُ مَرَّةً». رواه ابن أبي حاتم

وابن جرير[1] اهـ.

وأما السنة فقد ثبت خبرُ الصراط فِي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة وغيره، فعنه رضي الله عنه: «أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟ قَالُوا: لا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ؛ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَىٰ هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا شَافِعُوهَا أَوْ مُنَافِقُوهَا -شَكَّ إِبْرَاهِيمُ- فَيَأْتِيهُمُ اللهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّىٰ يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ؛ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتْبَعُونَهُ، وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلا الرُّسُلُ، وَدَعْوَىٰ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلالِيبُ مِثْلَ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلَ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمُ الْمُوبَقُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُخَرْدَلُ أَوِ الْمُجَازَىٰ أَوْ نَحْوُهُ ثُمَّ يَتَجَلَّىٰ حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ

---

(١) انظر: مختصر ابن كثير لنسيب الرفاعي (ج٤ ص٣٠٧)، وأما المنافقون فإن نورهم سرعان ما ينطفئ؛ لأنَّهم لَمْ يستضيئوا بنور الوحي فِي حياة العمل فوجدوا الجزاء يوم القيامة من جنس العمل.

مَنْ كَانَ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ إِلا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ تَحْتَهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرَغُ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَىٰ رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَىٰ النَّارِ هُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ اِصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيْحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا فَيَدْعُو اللهَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدْعُوَهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لا وَعِزَّتِكَ لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ، فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَىٰ الْجَنَّةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ قَدِّمْنِي إِلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَسْتَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَلاَّ تَسْأَلَنِي غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ أَبَدًا؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ! وَيَدْعُو اللهَ حَتَّىٰ يَقُولَ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لا وَعِزَّتِكَ لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي مَا شَاءَ اللهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا قَامَ إِلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ اِنْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ فَرَأَىٰ مَا فِيهَا مِنَ الْحَبْرَةِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللهُ: أَلَسْتَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَلاَّ تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ؟ فَيَقُولُ: وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ! فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ لا أَكُونُ أَشْقَىٰ خَلْقِكَ، فَلا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّىٰ يَضْحَكَ اللهُ مِنْهُ فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ قَالَ لَهُ: اُدْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللهُ لَهُ: تَمَنَّ، فَسَأَلَ رَبَّهُ وَتَمَنَّىٰ حَتَّىٰ إِنَّ اللهُ لَيُذَكِّرُهُ يَقُولُ: كَذَا وَكَذَا حَتَّىٰ انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ. قَالَ اللهُ: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ».

قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ: وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما لا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئًا حَتَّىٰ إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- قَالَ: «ذَاكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: «وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا حَفِظْتُ إِلا قَوْلَهُ: «ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: أَشْهَدُ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْلَهُ: «ذَلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ». قَالَ أَبُو هَرَيْرَةَ: «فَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ»(١).

وثبت فِي صحيح مسلم عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يُسألُ عن الورود، وفيه رؤية الله تعالىٰ: «فَيَتَجَلَّىٰ يَضْحَكُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتْبَعُونَهُ وَيُعْطَىٰ كُلُّ إِنْسَانٍ مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ نُورًا ثُمَّ يَتْبَعُونَهُ وَعَلَىٰ جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلالِيبُ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ، ثُمَّ يَطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لا يُحَاسَبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهمْ كَأَضْوَإِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ ثُمَّ كَذَلِكَ ثُمَّ تَحُلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَشْفَعُونَ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إلا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الْجَنَّةِ وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّىٰ يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ وَيَذْهَبَ حُرَاقُهُ، ثُمَّ

---

(١) البخاري كتاب التوحيد باب قول الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، حديث رقم (٧٤٣٧)، ومسلم فِي كتاب الإيْمان باب معرفة طريق الرؤية، حديث رقم (١٨٢)، وفي بعض روايات هذا الحديث: «أَنَّهُ يُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهَا؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ فَيَصِيرُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا». أي: يستوي فقار ظهره فلا ينثني للسجود. الفتح (ج١١ ص٤٥١).

يَسْأَلُ حَتَّىٰ تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا»[١].

نقول : وإننا لنُشهد الله وملائكته ورسله وصالحي عباده، أننا نؤمن بذلك كما جاءت به النُّصوص، وهذا هو معتقد أهل السّنة والجماعة حقيقة لا ادّعاءً، وبالنسبة لذكر الصراط؛ فقد ذكر العلماء -رحمهم الله- أنَّ الصراط صراطان:

* صراط حسيٌّ.

* وصراط معنويٌّ.

فالصراط الحسيُّ هو الذي ينصب علىٰ متن جهنم وتعبُره الخلائق علىٰ قدر أعمالهم.

وصراط معنويٌّ وهو التكاليف التي كلَّف الله بها المكلَّفين أجمعين، من أُولىٰ الأمم وأخراهم، والتكاليف الشرعية هي : الأوامر والنواهي، والحلال والحرام.. وغير ذلك مما كلَّف الله ﷻ به المكلَّفين من أولىٰ الأمم وأخراها.

فمن ثبت علىٰ الصراط المعنويِّ علمًا وعملًا ثبَّته الله علىٰ الصراط الحسيِّ، ومن لم يثبت علىٰ الصراط المعنويِّ فالجزاء عند الله من جنس العمل؛ لا يثبت علىٰ الصراط الحسيِّ.

ويدلُّ لذلك تعليمُ الله -تَبَارَكَ وتَعَالىٰ- لخلقه: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦]، والمرادُ به الطريقُ الموصل إلىٰ الجنة وهو الصراط المعنوي؛ أي دُلَّنا وأرشدنا وثبِّتنا علىٰ الصراط المستقيم الذي لا عوج

---

(١) مسلم فِي كتاب الإيْمان، باب أدنَىٰ أهل الجنة منْزلة فيها، حديث رقم (١٩١).

فيه، ويدلُّ له قولُ الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣]، وقولُه ﷻ في وصف القرآن: ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف:٣٠]، إلىٰ غير ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدلُّ علىٰ أنَّ الصراط المعنويَّ هو ما كلَّف الله به الخليقة من الأوامر والنواهي والفرائض والواجبات وغير ذلك من التكاليف، هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة.

سؤال (٩): كيف نبيِّن للناس الأمور التي ستكون يوم القيامة كالصراط، والميزان، ونعيم الجنة، وعذاب النار، ونحو ذلك من الأمور الغيبية، وهل يجوز وصفها للناس؟

الجواب: لا شك أن أهل السنة والجماعة يُثبتون ذلك حقيقة، وأنه كائن لا محالة؛ فيثبتون الميزان، وما يوزن فيه من الأعمال والعاملين، ويبينون أن له كفَّتين، ويثبتون الصراط وأنه حق، وأن المرور عليه كائن لا محالة، وأن الخلائق تمرُّ عليه بحسب أعمالها؛ كما ثبت ذلك في النصوص، ويؤمنون بوصفه الذي ورد ذكره في نصوص السنة كما رأيت، وأما الجنة ونعيمُها فإنه حق وحقيقة، وهي لأهل الإيمان بالله ورسله، وأما النار وعذابها فهي كذلك حق وحقيقة، وهي طبقات؛ فأعلىٰ طبقة منها لعصاة الموحدين لمن شاء الله أن يعذبه بها بقدر ما جنىٰ، ثم يخرجه منها ويكون مآله الجنة، وسيأتي عليها وقت لا يوجد فيها أحد أي طبقة العصاة، وأما أهل النار الذين هم أهلها أي أصحاب الخلود الدائم، واللعنة الدائمة فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ومكثهم فيها علىٰ سبيل الدوام؛ كما هو

واضح من نصوص القرآن والسنة.

وأما كيفيات هذه الأمور ونحوها مما سيكون يوم القيامة فهو من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، فما ثبت وصفه في نصوص الكتاب والسنة وصفناه للناس غير متجاوزين تلك النصوص.

سؤال (١٠): ما هو الدليل علىٰ فناء نار العصاة؟

الجواب: لتعلم أولًا أن النار دركات، فأعلىٰ دركة منها هي دار العصاة من أهل التوحيد الذين أوبقتهم معاصيهم، ولم تطهرهم مصائبُ الدنيا، ولا ومواقف الآخرة، فإذا مرُّوا علىٰ الصراط خطفتهم الكلاليب فسقطوا في النار بقدر جرائمهم فيلبثون فيها، ويطهِّرهم الله بها، ويخرجهم من طبقتهم هذه إلىٰ الجنة؛ كما في حديث الشفاعة الذي تلقَّته الأمة بالقبول، وإذا خرجوا منها بقيت تصطفق أبوابها؛ لأنه لم يبق فيها أحد ممن في قلبه مثقالُ ذرَّة من إيمان.

وأما دركات الكفار علىٰ اختلاف أصنافهم؛ فإنها لا تفنىٰ بل تبقىٰ أبد الآبدين ودهر الداهرين، لا نهاية لعذابهم فيها؛ كما دلَّت علىٰ ذلك نصوصُ الكتاب الكريم والسنة المطهرة؛ قال الله تعالىٰ: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا﴾ [النبأ:٢٣-٢٤]، وقال تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾ [الزخرف:٧٤-٧٥]، ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦] ونظائرها كثير.

وَالْمِيزَانُ الَّذِي لَهُ كِفَّتَانِ يُوزَنُ فِيهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا حَقٌّ. (١)

(١) ولقد ثبتت الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة علىٰ ثبوت نصب الموازين ووزن الأعمال والعاملين؛ قال الله ﷻ: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:٨-٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

وقال سبحانه عن لقمان: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:١٦]. وغيرها من الآيات كثير.

ومن السنة ما ثبت فِي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ»[1].

وقد اختلف أهل العلم فِي الموزون يوم القيامة علىٰ أقوال:

الأول: أن الذي يوزن هو العمل فقط يجسَّم فيوضع فِي الميزان، وقد

(١) أخرجه أحمد فِي المسند (ج٢ ص٢٣٢)، والبخاري فِي الدعوات، باب فضل التسبيح، حديث رقم (٦٤٠٦)، ومسلم فِي كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (ج٤ رقم٢٦٩٤ ص٢٠٧٢)، والترمذي فِي الدعوات، باب فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد (ج٥ رقم٣٤٦٧ ص٥١٢)، وابن ماجه فِي كتاب الأدب، باب فضل التسبيح (ج٢ رقم٣٨٠٦ ص١٢٥١).

استدل أصحاب هذا القول بنصوص كثيرة:

أ- **منها**: حديث أبي هريرة المتقدم قريبًا.

ب- **ومنها**: ما جاء عن النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه قال: سمعت النَّبِيَّ ﷺ يقول: «يُؤْتَىٰ بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ[1]، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا»[2].

قال الترمذي: «معنَىٰ هذا الحديث عند أهل العلم أنه يجيء ثواب قراءته، وكذا فسَّروا ما يشبهه من الأحاديث أنه يجيء ثواب قراءة القرآن، وفِي حديث النواس بن سمعان عن النَّبِيِّ ﷺ ما يدلُّ علىٰ ما فسَّروا به؛ إذ قال النَّبِيُّ ﷺ: «وَأَهْلِهِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا». ففي هذا دلالة أنه يجيء ثواب العمل»[3]. اهـ.

قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي: قلت – والقول له –: ولا مانع من كون الآتِي هو العمل نفسه كما هو ظاهر الحديث، فأما أن يقال: إن الآتِي هو كلام الله نفسه فحاشا وكلا ومعاذ الله؛ لأن كلامه تعالىٰ صفته ليس بِمخلوق، والذي يوضع في الميزان هو فعلُ العبد وعمله كما

---

(١) **أي**: ضوء.

(٢) أخرجه مسلم فِي صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن (ج٢ رقم٨٠٥ ص٥٥٤)، والترمذي فِي ثواب القرآن، باب ما جاء فِي سورة آل عمران (ج٥ رقم٢٨٨٣ ص١٦٠).

(٣) انظر جامع الترمذي (ج٥ ص١٦٠).

قال ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الصافات:٩٦][1]. اهـ.

وهذا القول نُقل عن ابن عباس رضي الله عنهما.

القول الثاني: أنَّ الَّتِي توزن هي صحائف الأعمال فقط؛ واستدل أصحاب هذا القول بِما روىٰ الإمام أحمد وغيرُه من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ ﷻ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُءُوسِ الْخَلائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْشَرُ لَهُ تِسعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلاًّ كُلُّ سِجِلٍّ مَدُّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لا يَا رَبِّ. قَالَ: أَفَلَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ قَالَ: فَبُهِتَ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: بَلَىٰ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَيُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ. فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لا تُظْلَمُ. قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ. قَالَ: فَطَاشَتِ السِّجِلاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ. قَالَ: وَلا يَثْقُلُ شَيْءٌ مَعَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»[2].

القول الثالث: أن الذي يوزن هو ثواب العمل؛ وهو معنىٰ ما نقله

---

(١) انظر معارج القبول (ج٢ ص٢٦٩).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (ج٢ ص٢١٣)، والترمذي في كتاب الإيْمان، باب ما جاء فيمن يَموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله (ج٥ رقم٢٦٣٩ ص٢٤)، وابن ماجه في الزهد، باب ما يرجىٰ من رحْمة الله (ج٢ رقم٤٣٠٠)، وابن حبان فِي صحيحه (رقم٢٥٢٣-موارد)، كتاب الزهد باب فِي الخوف والرجاء، والحاكم فِي المستدرك (١/ ٤٦ رقم٩، ٧١٠ رقم١٩٣٧). صحيح.

الترمذي فِي حديث النواس ابن سمعان.

القول الرابع: أن الذي يوزن هو العاملُ وعملُه وصحيفةُ عمله؛ وذلك للنصوص التالية:

أ- ما رواه الإمام أحمد من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه صَعِدَ شَجَرَةً يَجْتَنِي الْكَبَاثَ فَجَعَلَ النَّاسُ يَعْجَبُونَ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ هُمَا فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ»(١).

ب- وما رواه البخاري فِي صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اِقْرَءُوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [سورة الكهف:١٠٥]»(٢).

ج- وما رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فِي قصة صاحب البطاقة بلفظ قال: قال رسول الله ﷺ: «تُوضَعُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ فَيُوضَعُ فِي كِفَّةٍ وَيُوضَعُ مَا أُحْصِيَ عَلَيْهِ فَيُمَايَلُ بِهِ الْمِيزَانُ، قَالَ: فَيُبْعَثُ بِهِ إِلَىٰ النَّارِ، قَالَ: فَإِذَا أَدْبَرَ إِذَا صَائِحٌ مِنْ عِنْدِ الرَّحْمَنِ عز وجل يَقُولُ: لا تَعْجَلُوا فَإِنَّهُ قَدْ بَقِيَ لَهُ، فَيُؤْتَىٰ بِبِطَاقَةٍ فِيهَا لا إِلَهَ إِلا اللهُ، فَتُوضَعُ مَعَ الرَّجُلِ فِي كِفَّةٍ حَتَّىٰ يَمِيلَ بِهِ الْمِيزَانُ»(٣).

---

(١) مسند أحمد (١/ ١١٤).

(٢) البخاري فِي التفسير عند قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾، حديث رقم (٤٧٢٩)، ومسلم فِي كتاب صفة القيامة والجنة والنار (ج٤ رقم٢٧٨٥ ص٢١٤٧).

(٣) أحمد فِي المسند (ج٢ ص٢٢١-٢٢٢)، وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف ولكن يشهد له حديث ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه المتقدم.

فهذه النصوص تفيد أن الذي يوزن هو العبد وعملُه من خير وشر وصحيفةُ عمله، وهذا القول ظاهر الرجحان؛ إذ به يحصل الجمع بين النصوص المتفرقة فِي هذا الموضوع كما رأيت، ولله الحمد علىٰ توفيقه ورحمته وهدايته.

وأما أهل الكفر الأكبر والشرك الأكبر والنفاق الاعتقادي والإلحاد المخرج من الملَّة فهؤلاء لا يُوزن لهم صحيفة ولا عمل، وإنما يُدعُّون إلىٰ نار جهنم دعًّا؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [سورة الكهف:١٠٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣]، ومع كثرة النصوص التي تُثبت الميزان حقيقة، وأن له كفتين توضع في إحداهما الحسنات وفي الأخرىٰ السيئات، فإن بعض الفرق الهالكة كالمعتزلة ومن تابعهم في أقوالهم المنكَرة ينكرون الميزان؛ محتجين بحجة أن الله يعلم كل شيء فلا يحتاج إلىٰ وزن شيء من عباده! وهذه الحجة حجَّة شيطانية؛ لأن فيها ردًّا للقرآن الكريم وصحيح السنة النبوية، والمعلوم شرعًا وعقلًا أن كل رأي يخالف نصوص الكتاب والسنة؛ فهو مردود علىٰ صاحبه، وقد رأيتَ أيُّها القارئ النصوص الدالة علىٰ إثبات الميزان حقيقة، وأن له كفَّتين إحداهما توضع فيها الحسنات والأخرىٰ توضع فيها السيئات؛ قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة:٦-١١]،

قال ابنُ كثير في معناها: « أي رجحت حسناته علىٰ سيئاته (فهو في عيشة راضية) يعني في الجنة، (وأما من خفت موازينه) أي رجحت سيئاته

علىٰ حسناته (فأمه هاوية) فهو ساقط هاوٍ بأم رأسه في جهنم، وقيل معناه (فأمه) أمه التي يرجع إليها في المعاد، كأنها الهاوية أو هي الهاوية، وهي اسم من أسماء النار، قال ابن جرير: وإنما قيل للهاوية أمه لأنه لا مأوىٰ له غيرها. ولهذا قال تعالىٰ مفسِّرًا للهاوية: (وما أدراك ماهيه نار حامية) أي حارة شديدة الحر قوية اللهب والسعير، روىٰ أبو مصعب بسنده إلىٰ أبي هريرة أن النبيَّ ﷺ قال: «**نَارُ بَنِي آدَمَ الَّتِي تُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءٍ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ**. فَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً، فَقَالَ: **إِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ جُزْءًا**». ورواه البخاري ومسلم وفي بعض ألفاظه: «**إِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلّهنَّ مِثْلَ حَرِّهَا**». وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**اِشْتَكَتِ النَّارِ فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الشِّتَاءِ مِنْ بَرْدِهَا وَأَشَدّ مَا تَجِدُونَ فِي الصَّيْفِ مِنْ حَرِّهَا**»[1]

(١) مختصر تفسير ابن كثير للرفاعي (٤/ ٥٤٦-٦٤٧).

وَقَالا: وَالْحَوْضُ الْمُكَرَّمُ بِهِ نَبِيُّنَا حَقٌّ. (١)

---

(١) قولهما: «وَالْحَوْضُ الْمُكَرَّمُ بِهِ نَبِيُّنَا حَقٌّ». أي أن من معتقد أهل السنة والجماعة الإيمانُ بالحوض الذي أُعطِيَه النبيُّ ﷺ لأمته يوم القيامة، فهم يُثبتونه بخلاف أهل الأهواء كالمعتزلة الذين لا يؤمنون بالحوض ولا بالشفاعة ولا بالميزان.

والنصوصُ فِي ذكر الحوض وتفسير الكوثر به وصفته كثيرة جدًّا، حيث قد بلغت مبلغ التواتر فِي الصحاح والمسانيد والسنن وغيرها من كتب السنة، وذلك عن جمع غفير من الصحابة الكرام، وها أنا سأختار بعض ما ورد عنهم فِي هذا الموضوع:

١- فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ السَّمَاءِ قَالَ: أَتَيْتُ عَلَىٰ نَهَرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفًا فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ»[1].

وفِي رواية عنه رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «بَيْنَمَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذْ أَنَا بِنَهَرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ الدُّرِ الْمُجَوَّفِ قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ فَإِذَا طِينُهُ -أَوْ طِيبُهُ- مِسْكٌ أَذْفَرُ» -شك هُدبة-[2].

وفِي رواية عنه رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ

---

(١) أحمد فِي المسند (٣/ ٢٠٧ و٢٣١)، والبخاري فِي التفسير باب تفسير سورة الكوثر، حديث رقم (٤٩٦٤).

(٢) البخاري فِي كتاب الرقاق باب الحوض، حديث رقم (٦٥٨١).

أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الأَبَارِيقِ بِعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ»(١).

وقد وافق مسلم(٢) البخاري علىٰ إخراج هذا الحديث بهذا اللفظ، وبلفظ: «مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالْمَدِينَةِ»(٣).

وبلفظ: «تُرَىٰ فِيهِ أَبَارِيقُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ»(٤).

وفِي لفظ للبخاري أيضًا عن أنس رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضَ حَتَّىٰ إِذَا عَرَفْتُهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي! فَيَقُولُ: لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»(٥).

وهو عند مسلم بلفظ: أن النَّبِيَّ ﷺ قال: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحَبَنِي حَتَّىٰ إِذَا رَأَيْتُهُمْ وَرُفِعُوا إِلَيَّ اخْتُلِجُوا دُونِي فَلأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ أَصْحَابِي! فَلَيُقَالَنَّ لِي: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»(٦).

وعنه رضي الله عنه أيضًا عند أحمد ومسلم قال: «أَغْفَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِغْفَاءَةً فَرَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، إِمَّا قَالَ لَهُمْ، وَإِمَّا قَالُوا لَهُ: لِمَ ضَحِكْتَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّهُ نَزَلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ، فَقَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ حَتَّىٰ خَتَمَهَا، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ قَالُوا: اللهُ

---

(١) البخاري فِي كتاب الرقاق باب الحوض، حديث رقم (٦٥٨٠).

(٢) مسلم فِي الفضائل باب إثبات حوض نبينا وصفاته (ج٤ رقم٢٣٠٣ ص١٨٠٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) المصدر السابق (ج٤ رقم٢٣٠٣ ص١٨٠١) من حديث أنس رضي الله عنه..

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٥) البخاري فِي كتاب الرقاق باب الحوض، حديث رقم (٦٥٨٢).

(٦) مسلم فِي الفضائل باب إثبات حوض نبينا وصفاته (ج٤ رقم٢٣٠٤ ص١٨٠٠).

وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ رَبِّي ﷻ فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ الْكَوَاكِبِ يُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»(١).

٢- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ». قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ مِنْ سَهْلٍ؟ فَقُلْتُ نَعَمْ. فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَىٰ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَزِيدُ فِيهَا: «فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي»(٢).

٣- وعن عائشة رضي الله عنها: «أَنَّهَا سُئِلَتْ عَنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾. فَقَالَتْ: نَهْرٌ أُعْطِيَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ، شَاطِئَاهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مُجَوَّفٌ آنِيَتُهُ كَعَدَدِ النُّجُومِ»(٣).

وعنها: قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ -وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَصْحَابِهِ-: «إِنِّي عَلَىٰ الْحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، فَوَاللهِ لَيُقْتَطَعَنَّ دُونِي رِجَالٌ

---

(١) أحمد (ج٣ ص١٠٢)، ومسلم في الصلاة باب حجة من قال البسملة آية من كل سورة سوىٰ سورة براءة (ج١ رقم٤٠٠ ص٣٠٠)، وأبو داود في السنة باب في الحوض (ج٤ رقم٤٧٤٧)، والنسائي في الافتتاح باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم (ج٢ ص١٣٣-١٣٤).

(٢) البخاري في الرقاق، باب في الحوض، حديث رقم (٦٥٨٣ و٦٥٨٤)، ومسلم في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته (ج٤ ص١٧٩٣ رقم٢٢٩٠، ٢٢٩١).

(٣) البخاري في تفسير سورة ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾. (ج٦ ص١٤٦-١٤٧)، حديث رقم (٤٩٦٥)، وأحمد في المسند (ج٦ ص٢٨١).

فَلأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ»(١).

٤- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا قَائِمٌ فَإِذَا زُمْرَةٌ حَتَّىٰ إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ: هَلُمَّ! فَقُلْتُ: إِلَىٰ أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَىٰ النَّارِ وَاللهِ، قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَىٰ، ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّىٰ إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ قَالَ: هَلُمَّ، قُلْتُ: إِلَىٰ أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَىٰ النَّارِ وَاللهِ، قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَىٰ، فَلا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلا مِثْلَ هَمَلِ النَّعَمِ»(٢).

٥- وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا أَلا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَىٰ أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ»(٣). أخرجه مسلم.

وهناك نصوص أخرىٰ عن جماعة من الصحابة -رضوان الله عليهم- تعود إِلَىٰ هذه النصوص الصحيحة الصريحة فِي إثبات الحوض وبيان صفاته.

---

(١) مسلم فِي الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته (ج٤ رقم٢٢٩٤ ص١٧٩٤).

(٢) البخاري فِي الرقاق باب فِي الحوض، حديث رقم (٦٥٨٧).

(٣) مسلم فِي الفضائل باب إثبات حوض نبينا وصفاته (ج٤ رقم٢٣٠٠ ص١٧٩٨).

*** وقد اختلف أهل العلم: هل الحوض هو الكوثر أو غيره؟**

قال ابن أَبِي العز فِي شرح الطحاوية ما نصه: «والذي يتلخص من الأحاديث الواردة فِي صفة الحوض أنه حوض عظيم ومورد كريم، يُمدُّ من شراب الجنة من نَهر الكوثر الذي هو أشد بياضًا من اللبن وأبرد من الثلج وأحلىٰ من العسل وأطيب ريحًا من المسك، وهو فِي غاية الاتساع عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر»[1].اهـ.

وقال الحافظ فِي الفتح: «قوله: وقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾. أشار إِلَىٰ أن المراد بالكوثر: النهر الذي يصبُّ فِي الحوض فهو مادة الحوض»[2]. اهـ.

كما اختلفوا فِي: هل الميزان قبل الحوض أم الحوض قبل الميزان؟

فقال القرطبي: إن الحوض قبل الميزان والصراط؛ فإن الناس يخرجون من قبورهم عطاشًا[3]، ويستدل له بما جاء عن لقيط بن عامر: «أَنَّهُ وَفَدَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ هُوَ وَنَهِيكُ[4] بْنُ عَاصِمٍ قَالَ: فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ عِنْدِ انْسِلاخِ رَجَبٍ فَلَقِينَا رَسُول اللهِ ﷺ حِينَ انْصَرَفَ مِنْ صَلاةِ الْغَدَاةِ». الحديث بطوله فِي صفة الجنة والبعث، وَفِيهِ: «تُعْرَضُونَ عَلَيْهِ بَادِيَةً لَهُ صِفَاحُكُمْ لا تَخْفَىٰ

---

(١) انظر شرح الطحاوية (ص٢٢٢) بتحقيق بشير مُحمَّد عيون.

(٢) انظر: الفتح (ج١١ ص٤٦٧).

(٣) التذكرة في أحوال الموتىٰ (١/ ٣٦٨).

(٤) نَهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق العامري وفد علىٰ النَّبي ﷺ مع لقيط بن عامر. انظر الإصابة (ج٣ ص٥٧٩).

عَلَيْهِ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ، فَيَأْخُذُ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَيَنْضَحُ بِهَا قِبَلَكُمْ فَلَعَمْرُ إِلَهِكَ مَا يُخْطِئُ وَجْهَ أَحَدِكُمْ قَطْرَةٌ، فَأَمَّا الْمُسْلِمُ فَتَدَعُ وَجْهَهُ مِثْلَ الرَّيْطَةِ الْبَيْضَاءِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَتَخْطِمُهُ مِثْلَ الْخِطَامِ الأَسْوَدِ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ نَبِيُّكُمْ وَيَنْصَرِفُ عَلَىٰ أَثَرِهِ الصَّالِحُونَ فَيَسْلُكُونَ جِسْرًا مِنَ النَّارِ يَطَأُ أَحَدُكُمُ الْجَمْرَةَ فَيَقُولُ: حَسِّ، فَيَقُولُ رَبُّكَ: أَوَ إِنَّهُ، أَلا فَيَطَّلِعُونَ عَلَىٰ حَوْضِ الرَّسُولِ عَلَىٰ أَظْمَأَ وَاللهِ نَاهِلَةٍ رَأَيْتَهَا أَبَدًا مَا يَبْسُطُ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَدَهُ إِلا وَقَعَ عَلَيْهَا قَدَحٌ يُطَهِّرُهُ مِنَ الطَّوْفِ وَالْبَوْلِ وَالأَذَىٰ»[1]. الحديث.

قال الحافظ فِي الفتح بعد إيراد هذا الحديث: «وهو صريح فِي أن الحوض قبل الصراط»[2].اهـ.

وقال آخرون: إن الورود علىٰ الحوض يكون بعد نصب الصراط والمرور عليه، ويستدل لهؤلاء بما رواه الترمذي من حديث النضر بن أنس عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي فَقَالَ: «أَنَا فَاعِلٌ»، فَقُلْتُ: أَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: «اُطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَىٰ الصِّرَاطِ». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ؟ قَالَ: «أَنَا عِنْدَ الْمِيزَانِ». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ؟ قَالَ: «أَنَا عِنْدَ الْحَوْضِ»[3].

قلت: والخَطْبُ فِي هذا الخلاف سهل، ولكن البلية وقع فيها من أنكر

---

(١) أورده الحافظ فِي الفتح معزوًّا إلىٰ عبد الله بن أحمد في زوائده علىٰ المسند، وقال: «وأخرجه ابن أبي عاصم فِي السنة، والطبراني والحاكم»؛ انظر (ج١١ ص٤٦٦-٤٦٧).

(٢) انظر المصدر السابق نفسه.

(٣) الترمذي فِي كتاب صفة القيامة باب ما جاء فِي شأن الصراط (ج٤ رقم٢٤٣٣ ص٦٢١). صحيح.

وجود الحوض؛ كالخوارج وبعض المعتزلة، رغم النصوص الصريحة الَّتِي رأيت، وحقًّا إنَّهم قالوا شططًا، ونفوا ما تواتر ثبوته بالنقل الصحيح نقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ، غير أن هذا الإنكار لا يستغرب من الخوارج والمعتزلة؛ فقد صرحوا بخلود أهل الكبائر من الموحدين فِي النار، ونفوا عنهم شفاعة الشافعين وشفاعة أرحم الراحمين مع توفر النصوص الَّتِي جاءت بإثباتِها فِي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ولقد قال الشيخ ابن أبِي العز بعد أن سرد جملة من أحاديث الحوض: «فقاتل الله المنكرين لوجود الحوض، وأخلق بِهم أن يُحال بينهم وبين وروده يوم العطش الأكبر»[1].اهـ.

(١) انظر: شرح الطحاوية (ص٢٢٣).

وَالشَّفاعَةُ حَقٌّ، وَأَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ يَخْرُجُونَ بِالشَّفَاعَةِ حَقٌّ. (١)

---

(١) قوله: (وَالشَّفَاعَةُ حَقٌّ) الشفاعة لغةً: الطلب، وشرعًا: هي سؤال الله التجاوز عن الذنوب والجرائم.

والشفاعة بمعناها العام شفاعتان:

* شفاعة منفية.

* وشفاعة مثبتة.

فالشفاعة المنفية هي: ما يعتقده المشركون في آلهتهم أنهم يشفعون لهم، وهي التي نفاها القرآن؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨] وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨].

والشفاعة المثبتة؛ وهي التي أثبتها القرآن والسنة، وهي أنواع متعددة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، ومن السنة قولُ النبيِّ ﷺ كما فِي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ: « أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ ﷺ. فَيَأْتُونَ آدَمَ ﷺ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ

بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ؛ اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي! نَفْسِي! اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَىٰ نُوحٍ ﷺ. فَيَأْتُونَ نُوحًا ﷺ فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ الأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا؛ اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَىٰ قَوْمِي، نَفْسِي! نَفْسِي! اذْهَبُوا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﷺ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ، وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ؛ اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي! نَفْسِي! اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ. فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ ﷺ فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَىٰ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَىٰ النَّاسِ؛ اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَىٰ ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا؛ نَفْسِي! نَفْسِي! اذْهَبُوا إِلَىٰ عِيسَىٰ ﷺ. فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَىٰ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ؛ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَىٰ ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ

- وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا -، نَفْسِي! نَفْسِي! اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ. فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؛ اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَىٰ »[1]. وكما في قول النبيِّ ﷺ: «جعلت شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»[2].

ثم الشفاعة المثبتة أنواع:

النوع الأول: الشفاعة العظمىٰ فِي موقف القيامة؛ وهي خاصة بنبينا مُحمَّد ﷺ، وهي المقام الْمَحمود الذي وعده الله ﷻ حيث قال: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [سورة الإسراء:٧٩].

---

(١) هذا لفظ مسلم فِي كتاب الإيْمان، باب أدنىٰ أهل الجنة منْزلة فيها (ج١ رقم١٩٤ ص١٨٤-١٨٥)، وهو عند أحمد فِي المسند (ج٢ ص٤٣٥) من حديث أبي هريرة. وفِي البخاري فِي الأنبياء، باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾، حديث رقم (٣٣٤٠)، وفي التفسير: باب قول الله تعالىٰ: (ذرية من حملنا مع نوح)، حديث رقم (٤٧١٢).

(٢) سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في الشفاعة، حديث رقم (٢٤٣٥). قال الشيخ الألباني: صحيح.

وذلك أن الناس إذا ضاق بهم الموقف وطال المقام فِي أرض المحشر واشتد قلقهم وألجمهم العرق التمسوا الشفاعة فِي أن يفصل الله بينهم فيأتون آدم ثُمَّ نوحًا ثُمَّ إبراهيم ثُمَّ موسىٰ، ثُمَّ عيسىٰ بن مريَم وكلهم يقول: نفسي نفسي، إلَىٰ أن ينتهوا إلَىٰ نبينا مُحمَّد ﷺ فيقول: «أَنَا لَهَا»؛ كما في حديث أنس رضي الله عنه في الشفاعة[1].

النوع الثانِي: الشفاعة فِي استفتاح باب الجنة؛ وقد ثبت أن النَّبِيَّ ﷺ هو أول من يستفتح باب الجنة لما روىٰ مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ**»[2]، وكما فِي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ»[3]. الحديث.

النوع الثالث: الشفاعة فِي أبِي طالب؛ فقد أخرج البخاري من حديث أبِي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ، وذُكر عنده عمه أبو طالب فقال: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ»[4].

وكذا أخرجه مسلم من حديث العباس بن عبد المطلب أنه قال: «يَا

---

(١) سيأتي قريبًا بتمامه ص:١١١-١١٢، وتخريجه هناك.

(٢) مسلم فِي كتاب الإيمان باب في قول النّبيّ ﷺ: « أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا» (ج١ رقم١٩٧ ص١٨٨).

(٣) أخرجه مسلم فِي كتاب الإيْمان، باب قول النَّبِي ﷺ: «**أنا أول الناس يشفع فِي الجنة**». (ج١ رقم١٩٦ ص١٨٨).

(٤) البخاري فِي الرقاق باب صفة الجنّة والنّار، حديث رقم (٦٥٦٤).

رَسُولَ اللهِ هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ». وفِي لفظ له: «إِنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَنْصُرُكَ فَهَلْ نَفَعَهُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ وَجَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنَ النَّارِ فَأَخْرَجْتُهُ إِلَىٰ ضَحْضَاحٍ»[1].

فهذه الثلاثة، خاصة بنبينا ﷺ لا يشاركه فيها أحد.

النوع الرابع: الشفاعة فِي أقوام قد أُمِرَ بهم إِلَىٰ النار ألاَّ يدخلوها.

النوع الخامس[2]: الشفاعة فيمن دخل النار من أهل التوحيد أن يخرجوا منها فيخرجون وقد امتحشوا، وصاروا فحمًا فيطرحون فِي نَهْرِ الحياة فينبتون كما تنبت الحِبَّة فِي حميل السيل؛ لِمَا فِي حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»[3]. رواه الإمام أحمد وغيره.

النوع السادس: الشفاعة فِي رفع درجات أقوام من أهل الجنة، وهذه الأنواع الثلاثة ليست خاصة بنبينا ﷺ، ولكنه هو المقدَّم فيها، ولَمْ يشفع

---

(١) مسلم فِي كتاب الإيْمان، باب شفاعة النَّبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه (ج١ رقم٢٠٩ (٣٥٧، ٣٥٨) ص١٩٥).

(٢) وقد أنكر هذا النوع من الشفاعة الخوارج والمعتزلة جهلًا منهم بنصوص الكتاب والسنة أو عنادًا ومكابرة من أجل نصرة مذهبهم فِي باب الإيْمان وعدد أركانه عندهم.

(٣) أحمد فِي المسند (ج٣ ص٢١٣)، وأبو داود فِي السنة باب فِي الشفاعة (ج٤ رقم٤٧٣٩)، والترمذي فِي صفة يوم القيامة باب شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته (ج٤ رقم٢٤٣٥)، وصححه ابن حبان فِي صحيحه (رقم٢٥٩٦ الموارد)، وكذا الحاكم فِي المستدرك (١/ ١٣٩-١٤٠ رقم٢٢٨ و٢٢٩) وهو حديث صحيح بشواهده وطرقه؛ انظر جامع الأصول (رقم٦٧٦٨، ٨٠١٢، ٨٠١٣).

أحد من خلق الله فِي مثل ما يشفع فيه رسول الله ﷺ، ولا يدانيه فِي ذلك مَلَك مُقرب ولا نَبِي مرسل، ثُمَّ بعده يشفع من أَذِنَ الله له من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين وسائر أولياء الله المؤمنين، ثُمَّ يشفع الأفراط كل منهم يُعطىٰ من الكرامة فِي الشفاعة بحسب حاله، ثُمَّ يُخرج الله من النار أقوامًا بدون شفاعة الشافعين، كما فِي المسند وصحيح مسلم عن أَبِي سعيد مرفوعًا قال: فيقول الله تعالىٰ: «شَفَعَتِ الْمَلائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا أَقْوَامًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا»[1]. الحديث بطوله.

وهناك أنواع من الشفاعة: جاء ذكرها فِي الكتاب والسنة كالشفاعة فِي أقوام قد تساوت حسناتُهم وسيئاتُهم فيشفع فيهم مُحمَّد ﷺ ليدخلوا الجنة فيدخلوها؛ وهؤلاء هم أصحاب الأعراف الذين قال الله فِي شأنِهم: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ إِلَىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [سورة الأعراف:٤٦-٤٩].

وكالشفاعة فِي أقوام يدخلون الجنة بغير حساب، وهم قد حازوا من صفات الإيْمان أكملها كما فِي حديث السبعين ألفًا الذين كانوا لا يَسْتَرْقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلىٰ ربِّهم يتوكلون، ومنهم عُكَّاشة ابن محصن.

---

(١) المسند (ج٣ ص٩٤) وصحيح مسلم فِي كتاب الإيْمان باب معرفة طريق الرؤية (ج١ رقم١٨٣).

@ هذا وقد انقسم الناس فِي الشفاعة علىٰ ثلاثة أقوال:

- القول الأول: قول المشركين والنصارىٰ والمبتدعين من الغلاة فِي الأولياء وغيرهم بحيث يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة فِي الدنيا، وقد أنكر الله عليهم هذا القول الباطل فقال سبحانه: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [سورة يونس:١٨] الآية.

- القول الثاني: قول المعتزلة والخوارج فقد أنكروا شفاعة النَّبِيِّ ﷺ وغيره فِي أهل الكبائر.

القول الثالث: قول أهل السنة والجماعة فإنَّهم يثبتون شفاعة النَّبِيِّ ﷺ فِي أهل الكبائر وشفاعة غيره، بل وجميع أنواع الشفاعات المثبتة الَّتِي تقدَّم ذكرُها، ولكن لا يشفع أحد حَتَّىٰ يأذن الله له، ويحد له حدًّا؛ كما جاء فِي صحيح البخاري حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد ابن زيد، حدثنا مَعْبَد بن هلال العَنْزي، قال: «اجْتَمَعْنَا نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَذَهَبْنَا إِلَىٰ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَذَهَبْنَا مَعَنَا بِثَابِتٍ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ لَنَا عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَإِذَا هُوَ فِي قَصْرِهِ فَوَافَقْنَاهُ يُصَلِّي الضُّحَىٰ، فَاسْتَأْذَنَّا، فَأَذِنَ لَنَا وَهوَ قَاعِدٌ عَلَىٰ فِرَاشِهِ، فَقُلْنَا لِثَابِتٍ: لَا تَسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ أَوَّلَ مِنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ هَؤُلَاءِ إِخْوَانُكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ جَاءُوكَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ. فَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: « **إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ. فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ؛ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ**

فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَىٰ؛ فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهِ. فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَىٰ؛ فَإِنَّهُ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ. فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا. فَأَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيُقَالُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيُقَالُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ».

فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسٍ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا: لَوْ مَرَرْنَا بِالْحَسَنِ وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أَبِي خَلِيفَةَ فَحَدَّثَنَا بِمَا حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَنَا، فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَلَمْ نَرَ مِثْلَ مَا حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: هِيهِ، فَحَدَّثْنَاهُ بِالْحَدِيثِ فَانْتَهَىٰ إِلَىٰ هَذَا الْمَوْضِعِ فَقَالَ: هِيهِ، فَقُلْنَا: لَمْ يَزِدْ لَنَا عَلَىٰ هَذَا. فَقَالَ: لَقَدْ حَدَّثَنِي وَهُوَ جَمِيعٌ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً، فَلَا أَدْرِي أَنَسِيَ أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَّكِلُوا. قُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ فَحَدِّثْنَا، فَضَحِكَ وَقَالَ: خُلِقَ الإِنْسَانُ عَجُولًا، مَا ذَكَرْتُهُ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ

أَنْ أُحَدِّثَكُمْ؛ حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ قَالَ: « ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ. فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»[1]. وهكذا أخرجه مسلم.

وإذ كان الأمر كما رأيت، فلتعلم أن ما سبق تدوينه من النصوص المحكمة في هذا الباب العظيم؛ باب الشفاعة حق لا مرية فيه عند أهل السنة والجماعة.

---

(١) البخاري فِي التوحيد، باب كلام الرّبّ ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، حديث رقم (٧٥١٠)، ومسلم فِي الإيْمان، باب أدنىٰ أهل الجنة منْزلة فيها (ج١ رقم١٩٣ ص١٨٢-١٨٣).

وَعَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ. (١)

(١)ونعيم القبر وعذابه حق، نعيم القبر للمؤمنين، وعذاب القبر للمجرمين، وهو أول منزل من منازل الآخرة، إما نعيم مقيم وإما عذاب أليم، حتىٰ تأتي الدار الآخرة فيزداد نعيم المؤمنين ويكتمل ويَعُمُّ الروح والبدن علىٰ حد سواء؛ بينما النعيم في البرزخ هو للروح أكمل منه للجسد، وإن كان الجسد ينال حظه من النعيم ؛ ولكن في حق الروح أكمل، فإذا جاء يوم القيامة اكتمل النعيم وشمل الروح والجسد؛ لأن الأرواح تعود إلىٰ أجسادها التي كانت تعمرها في الحياة الدنيا، فيكتمل النعيم للروح والجسد.

والعذاب كذلك، عذاب القبر حق لأهل الإجرام من كافرين ومنافقين وملاحدة ومجرمين، ولو كانوا من أهل الإسلام إلا أنهم ارتكبوا موبقات أوجبت لهم عذاب القبر، فإذا كان يوم القيامة اكتمل عذابهم واشتد، وما العذاب البرزخي إلا عذابٌ أدنىٰ؛ كما ذكره الله ﷻ في القرآن: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة:٢١]، ويكون علىٰ الروح والجسد في الحياة البرزخية وهو في حق الروح أكمل، وفي الآخرة علىٰ الروح والجسد علىٰ حد سواء، تعاد أرواحهم إلىٰ أجسادهم ويخزيهم الله -تَبَارَكَ وتَعَالىٰ- بالعذاب.

ويحسن هنا إيرادُ ما تمَّ تدوينه في كتابي « المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم ﷺ»:

فتنة الخلق في القبور وإثبات نعيم القبر وعذابه

وتذكَّر ما بعد الموت من فتنة القبور، وهي سؤال الملكين منكر ونكير لكل من مات، سواء دفن في القبور أو أكلته السباع أو تخطفته الطيور أو ذرته الرياح في البراري والبحور، لابد من السؤال عن الرب وعن الدين وعن الرسول، فأعدَّ يا أخي للسؤال جوابًا، واحسب لهذه الفتنة حسابًا، إذ لا مفرَّ ولا محيص منها، وعندها يثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، ويضل الله الظالمين.

ورحم الله شيخنا حافظ بن أحمد الحكمي الذي قال في هذا المعنىٰ:

وَإِنَّا كُلٌّ مُقْعَدٌ مَسْؤولُ ... مَا الرَّبُ مَا الدِّينُ وَمَا الرَّسُولُ

وَعِنْدَ ذَا يُثَبِّتُ الْمُهَيْمِنُ ... بِثَابِتِ الْقَوْلِ الَّذِينَ آمَنُوا

وَيُوقِنُ الْمُرْتَابُ عِنْدَ ذَلِكَ ... بِأَنَّمَا مَوْرِدُهُ الْمَهَالِكَ

وإن أردت أن تطَّلع علىٰ تفاصيل تلك الفتنة -نجَّانا الله منها- لتزداد موعظة وذكرىٰ، وخوفًا وخشيةً واستعدادًا؛ فاسمع -ثبّتك الله وهداك- إلىٰ ما رواه الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «خَرَجْنَا مَعَ الرَّسُولِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَىٰ الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ فَجَلَسَ الرَّسُولُ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَىٰ رُءُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الأَرْضِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: **اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ -مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا- ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ عَلَىٰ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ الْمَلائِكَةُ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ**

الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اُخْرُجِي إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ. قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَىٰ مَلأٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ إلا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ. فَيَقُولُونَ: فُلانُ بْنُ فُلانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَنْتَهُوا بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: اُكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَىٰ الأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ.

قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ. فَيَقُولانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الإِسْلامُ. فَيَقُولانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. فَيَقُولانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ. فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ. قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ. قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ. فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الَّذِي يَجِيءُ بِالْخَيْرِ. فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ. فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّىٰ أَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِي وَمَالِي.

قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اُخْرُجِي إِلَىٰ سَخَطٍ مِنَ اللهِ، وَغَضَبٍ. قَالَ: فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يَنْتَزِعُ السَّفُودَ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَىٰ مَلأٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِلا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الْخَبِيثَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلانُ بْنُ فُلانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ فَلا يُفْتَحُ لَهُ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: من الآية٤٠].

فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: اُكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الأَرْضِ السُّفْلَىٰ فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: من الآية٣١]. فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لا أَدْرِي. فَيَقُولانِ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لا أَدْرِي. فَيَقُولانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لا أَدْرِي. فَيُنَادِيَ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ فَأَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوؤُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ. فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالشَّرِّ.

فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ. فَيَقُولُ: رَبِّ لا تُقِمِ السَّاعَةَ»[١].

وفي رواية في قصة المؤمن[٢]: «حَتَّىٰ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ صَلَّىٰ عَلَيْهِ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ إِلا وَهُمْ يَدْعُونَ اللهَ أَنْ يُعْرَجَ بِرُوحِهِ مِنْ قِبَلِهِمْ».

وفي رواية في قصة الكافر[٣]: «ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَىٰ أَصَمُّ أَبْكَمُ فِي يَدِهِ مِرْزَبَّةٌ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تُرَابًا، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً فَيَصِيرُ تُرَابًا ثُمَّ يُعِيدُهُ اللهُ ﷻ كَمَا كَانَ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَىٰ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلا الثَّقَلَيْنِ. قَالَ الْبَرَاءُ: ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ النَّارِ وَيُمْهَدُ لَهُ فِرَاشٌ مِنَ النَّارِ».

ورواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه نحوه[٤].

قلت: إنه لجدير بجميع المسلمين والمسلمات أن يتعلَّموا هذا الحديث الجليل ويتأملوا ما دل عليه من مشهد الخير والفضل والإحسان، لمن كان من أهل الخير والفضل والإحسان، وهذا مقتضىٰ الرحمة والفضل والرضوان من الكريم الرحمن، وما دل عليه أيضًا من مشهد التوبيخ والتنكيل والتعذيب لأهل الكفر والفسوق والعصيان جزاء وفاقًا،

---

(١) مسند أحمد (٤/ ٢٨٧).

(٢) هذه الزيادة من مسند الإمام أحمد (ج٤/ ص ٢٩٥) عن البراء.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أبو داود: في كتاب السنة باب في المسألة في القبر وعذاب القبر (ج٤ رقم٤٧٥٣ ص٢٣٩)، ورواه كذلك في كتاب الجنائز، باب الجلوس عند القبر، (ج٣ رقم٣٢١٢ ص٢١٣)، والنسائي: في كتاب الجنائز، باب الوقوف للجنائز، حديث رقم (٢٠٠١)، وابن ماجه: في كتاب الجنائز، باب ما جاء في الجلوس في المقابر، حديث رقم (١٥٤٨ و١٥٤٩) مختصرًا.

وذلك مقتضىٰ حكمة الملك الديان.

وحقًّا إن من استحضر ذلك المشهد في كل وقت وحين، وكان من العقلاء والصالحين فإنه سيعد للسؤال جوابًا، وسيحسب لتلك الفتنة الرهيبة حسابًا، طالبًا من ربه الهداية والتوفيق والثبات في هذه الدنيا وبعد الممات.

وَمُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ حَقٌّ. (١)

---

(١) والمراد بمنكر ونكير اسمان لملكين كريمين موكَّلين بسؤال الموتىٰ في الحياة البرزخية، سواء دُفنوا في باطن الأرض أو لم يدفنوا في باطن الأرض، بدون أن يتعرَّض أحد للكيفية -كيفية السؤال والنعيم أو العذاب-، هذا يُفَوَّض علمه إلىٰ الله -تَبَارَكَ وتَعَالىٰ- مع الإيمان بوقوعه وأنه حق.

وقد ثبت عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إِذَا مَاتَ العَبْدُ**» وأدخل في قبره «**أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ وَيَسْأَلَانِهِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَأَمَا المُؤْمِنُ فَيُثَّبِتُهُ اللهُ، فَيَقُولُ: اللهُ رَبِّي وَالإِسْلَامُ دِيني وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيِّي**»[1]، وهذا التثبيت من الله ﷻ؛ لأنه أتىٰ بسببه في حياة العمل -الحياة الدنيا- من إقامة الفرائض والواجبات والابتعاد عن المحرَّمات والخوف من الله ﷻ والرجاء فيما عنده من النعيم والخير، فالله يثبتهم كما قال ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم:٢٧]، قال علماء التفسير: نزلت في نعيم القبر وعذابه وفي المسألة.

وأما الكافر والمجرم -والعياذ بالله- فلا يوفَّق في الإجابة؛ لأنه ما

---

(١) انظر: صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، حديث رقم (١٣٦٩ و١٣٧٤)، وصحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها..، باب عرض مقعد الميّت من الجنّة أو النّار عليه وإثبات عذاب القبر..، (ج٤ رقم٢٨٧٠ ص٢٢٠٠) و(ج٤ رقم٢٨٧١ ص٢٢٠١-٢٢٠٢).

أتىٰ بأسباب التوفيق والسداد له وإلهام الحجة، في حياة العمل فكان شأنه أنه لا يستطيع أن يجيب بما فيه نجاته؛ بل يقول حين يسأله الملكان : **هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُه، فيقال له: لا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ**»، دعاء عليه «**فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ حتىٰ يَصِيرَ تُرَابًا، ثُمَّ يَعُودُ كَمَا كَانَ فَيُضْرَبُ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلاَّ الثَّقَلَيْنِ وَلَوْ سَمِعُوا لَمَاتُوا**»[1]. هذا ما دلَّت عليه النصوص التي يؤمن بها أهل السنة والجماعة الذين آمنوا بما أنزل الله ﷻ من الكتاب والسنة علىٰ مراد الله ونهج رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

---

(١) مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٩٥) وسنن أبي داود: كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وفي عذاب القبر، حديث رقم (٤٧٥٣)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه. قال الشيخ الألباني: صحيح.

وَالْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ حَقٌّ. (١)

(١)وكذلك من معتقد أهل السنة والجماعة الإيمانُ بوجود الكرام الكاتبين، وهم ملائكة كرام مدحهم الله وأثنىٰ عليهم، فهم الأمناء علىٰ أعمال العباد، والموكلون بكتابتها ما كان منها من خير وما كان منها من شر؛ كما قال الله ﷻ: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١١-١٢]، فوصفهم الله بأنهم كرام فلا يتطرق إليهم أي سوء أو ظلم للخلق أبدًا.

ثم هم الذي يكتبونه علىٰ العباد يستنسخونه من اللوح المحفوظ، فلا يختلف أبدًا ما يفعله العباد من أقوال سيئة أو حسنة، أو أعمال صالحة وأفعال غير صالحة لا يختلف عما سُطِّر في اللوح المحفوظ أبدًا، وهذا يدل عليه قولُ الله تعالىٰ: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية:٢٩]، والاستنساخ لا يكون إلا من أصل، وأصل الأعمال خيرها وشرها هو اللوح المحفوظ، وجميع ما يصدر في الكون كلُّه قد سطر في اللوح المحفوظ، هذا معتقد أهل السنة والجماعة.

فالكرام الكاتبون أحدهما يكتب الحسنات، والثاني يكتب السيئات، فإذا فعل العبد طاعة حسنة كتبت عشرًا فورًا، وإن فعل سيئة قال له ملَك اليمين: أمسك لعله يتوب أو يستغفر، فإن تاب واستغفر ما كُتِبَتْ عليه، وإن لم يتب ولم يستغفر كتبت عليه سيئة واحدة، بينما الحسنة تكتب عشرًا وتضاعف إلىٰ أضعاف كثيرة.

وهذا دليل علىٰ سعة رحمة الله ﷻ وعموم مغفرته لمن يستحق الرحمة والمغفرة، وقال ﷻ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، أي حاضر

ومهيَّأٌ لكتابة ما يتلفظ به المكلّف من قول، وهذا عام يتناول كل ما ينطق به اللسان من خير أو شر أو مباح، هذا مدلول الآية؛ ولكن الله يثيب علىٰ الخير ويعاقب علىٰ الشر من شاء، والمباح لا يترتب عليه جزاء، اللهم إلا ما كان وسيلة إلىٰ خير فإنه يكتب لصاحبه؛ لأن الوسيلة لها حكم الغاية، والعكس بالعكس؛ ما كان وسيلة إلىٰ شر من المباحات فهو شر.

والكرام الكاتبون لا يفارقون المكلَّفين أبدًا، ولا يمكن أن يخفىٰ عليهم شيء من أعمالهم الظاهرة والباطنة؛ لأن الله أعطاهم قدرة وطاقة وعلمًا يعلمون به جميع الأعمال الظاهرة والباطنة، والأقوال والأفعال كلها معلومة للكرام الكاتبين؛ لأن الله ﷻ خصَّهم بذلك، واختار لهم هذه الوظيفة العظيمة الجليلة؛ كتابة أعمال بني آدم، ويبدؤون فيها من وقت البلوغ -بلوغ الحلم- أي حين يجري قلم التكليف علىٰ بني آدم، وقبل ذلك؛ في الصغر، مرفوع القلم عن الصغير حتىٰ يبلغ، وعن النائم حتىٰ يستيقظ، وعن المجنون حتىٰ يُفيق؛ كما ثبت عن النبيِّ ﷺ: «**رُفِعَ القَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّىٰ يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ المَجْنُونِ حَتَّىٰ يُفِيقَ، وَعَنْ الصَّغِيرِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ**»[1] ويجري قلم التكليف عليهم بزوال الموانع: النوم والجنون والصغر، والبلوغ طبعًا بخمس عشرة سنة ذكرًا وأنثىٰ، وقد يكون لأقلَّ من

---

(١) أبو داود: في كتاب الحدود باب في المجنون يسرق أو يصيب حدًا، حديث رقم (٤٣٩٨-٤٤٠٣)، والنسائي: في كتاب الطلاق باب من لا يقع طلاقه من الأزواج، حديث رقم (٣٤٣٢)، والترمذي: في كتاب الحدود باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد، حديث رقم (١٤٢٣)، وابن ماجه: في كتاب الطلاق باب طلاق المعتوه والصغير والنائم، حديث رقم (٢٠٤١ و٢٠٤٢). قال الشيخ الألباني: «صحيح». «إرواء الغليل» حديث رقم (٢٩٧).

ذلك لاسيما في النساء قد يكون البلوغ في أقل من خمس عشرة سنة، لأربع عشرة، ولتسع ولعشر، لذا قالت عائشة -رضي الله عنها-: «**إِذَا بَلَغَتْ الْجَارِيَةُ تِسْعَ سِنِينَ فَهِيَ امْرَأَةٌ**»[1] يعني صالحة للاستمتاع، فإن بلغت جرىٰ عليها قلم التكليف، وإلا فمتىٰ بلغت الحلم جرىٰ عليها قلم التكليف، وهكذا الذكر عند بلوغ خمس عشرة سنة، أو إنبات الشعر الخشن؛ علىٰ القبل أو علىٰ الشارب، أو إنبات اللحية؛ هذه علامات البلوغ.

---

(١) **سنن الترمذي**: كتاب النكاح، باب ما جاء في إكراه اليتيمة علىٰ التزويج (٣/ ٤١٧)، والبيهقي في الكبرىٰ (١/ ٣١٩) معلّقًا بدون إسناد.

وَالْبَعْثُ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ حَقٌّ. (١)

---

(١) قولهما: (وَالْبَعْثُ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ حَقٌّ) المراد بالبعث في اللغة: التحريك والإثارة، وفي الشرع: إخراج الموتىٰ من قبورهم أحياء للحساب والجزاء علىٰ الأعمال، فريق في الجنة وفريق في السعير.

وهو ركن من أركان الإيمان الستة التي لا يتم إيمان عبد إلا بها جميعًا، وذلكم البعث والنشور هو الذي يُطلق عليه اليوم الآخر، وقبل الحديث عن هذا الأساس المتين والركن المهم العظيم، نحبُّ أن نقول كلمة قصيرة بين يديه لما لَها من العلاقة به، فنقول مستعينين بالله:

قضىٰ الله العليم الحكيم والرب الخالق العظيم أن يَخلق دارين: دار الدنيا ودار الآخرة، فجعل سبحانه الأولَىٰ دار عمل، وجعل الثانية دار جزاء[1]، وقد كلَّف سبحانه الإنس والجن بتكاليف تتجلَّىٰ في الأوامر والنواهي، وعلىٰ أساسها يكون الجزاء يوم القيامة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧-٨].

حقًّا أيها القارئ الكريم والمستمع العاقل الحليم، إن الله الذي خلقك من نطفة من ماء مهين، خرج من بين الصلب والترائب، ثُمَّ حفظك فِي بطن أمك فِي تلك الأطوار المتعاقبة المشار إليها فِي قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٢-١٤].

---

(١) ودار البرزخ هي الحاجز بينهما.

نعم إن الله الذي أتقن هذا الصنع هو الذي حباك بنعم لا تعد ولا تحصىٰ، كما قال ﷻ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم:٣٤]. ولكن الإنسان لا يفقه معنىٰ هذه النعمة إلا إذا هداه الله ففكر فِي نفسه وفيما بين يديه وما حوله وما بلغ إلَىٰ علمه مِمَّا ينبغي التفكير فيه كنعمة الحواس؛ مثل حاسة السمع والبصر والفؤاد والشم والذوق، وهناك نعمة الأعضاء المتحركة، وهناك مِمَّا لا يدخل تحت الحصر مِمَّا لا تحيط به العقول أو تسطره الأقلام.

وأجلُّ نعم الله علىٰ الإطلاق نعمة الرسالة والنبوة الَّتِي أنعم الله بِها علىٰ الأمم فِي الأرض: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤].

فمن الخَلْق من شكر تلك النعمة، فقبل ما جاء به الأنبياء والرسل باطنًا وظاهرًا، فامتثل الأوامر واجتنب النواهي، فعاش فِي هذه الدنيا قوي القلب، قرير العين بإيْمانه الصادق الصحيح فِي ظل شريعة الله القائمة العادلة، مستثمرًا أوقاته فِي ليله ونَهاره طيلة حياته فيما يرضي ربه عنه حَتَّىٰ يوافيه الأجل وهو محب للقاء الله وقد تلقَّىٰ البشرىٰ من ملائكة الله: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

فجعل الله قبره روضة من رياض الجنة وفسح له فيه مد البصر؛ كما هو ثابت فِي الأحاديث الصحيحة الواردة فِي الحياة البرزخية، حَتَّىٰ إذا وقعت الواقعة وحقت الحاقة، وجاءت الصاخة، وقام الناس لرب العالمين وانقسموا إلَىٰ فريقين: سعداء وأشقياء؛ كان ذلك الشاكر من السعداء الذين

يقال لَهم: ادخلوا الجنة لا خوف عليكم، ولا أنتم تحزنون، فيدخل دار النعيم المقيم، دار الكمال والصحة والجمال، دار السرور والبهجة والحبور، يتمتع بِمآكلها الشهية، ومشاربِها الصافية النقية، وقصورها العالية المتلألئة البهية، وخيراتِها الحسان اللاتِي أنشأهن إنشاءً ربُّ البرية، وغير ذلك مِمَّا لا عين رأت ولا أذن سَمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر.

وفوق ذلك، إنْجازُ الوعد الربانِي الكريم بالنظر إلَىٰ وجهه العليِّ العظيم، الذي يُنسي كل لذة ونعيم، فاللهمَّ لا تحرمنا خير ما عندك من الفضل والإحسان بشرِّ ما عندنا من التقصير والعصيان.

ومنهم من كفر بتلك النعمة الدينية والدنيوية؛ حيث أعرض عما جاء به الأنبياء والمرسلون، واشترىٰ الضلالة بالهدىٰ، واختار لنفسه طريق الهلاك والشقاء والردىٰ، فإنه يعيش فِي هذه الحياة الدنيا عيشة معقَّدة ضنكًا، ويحشر إلَىٰ ربه يوم القيامة أعمىٰ فيقول: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه:١٢٦].

نعم يعيش عيشة بَهيمية، ليس له هدف صحيح، ولا غاية حَميدة، بل همُّه كله تحقيقُ رغبات نفسه الأمارة بالسوء من أكلة لذيذة، وشهوة جسدية جامحة، وجمع مال عريض، وهوىٰ متبع معبود، فما جزاء مَن هذا شأنُه وتلك مقاصدُه إلا كما قيل:

يجزىٰ جحيمًا دائمًا يتقد ... يهبط تارة وأخرىٰ يصعد

وحينما يتلطفون قائلين لخزنة جهنم: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٩]. يُجيبونَهم علىٰ سبيل التوبيخ والتقريع: ﴿أَوَلَمْ تَكُ

تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر:٥٠]. فنعوذ بالله من سوء الحال والمنقلب والمصير.

وبعد: فما المراد باليوم الآخر؟، وما وجه تسميته بذلك؟، وما حكم الإيْمان به؟، وبِما يقع فيه؟، وما حكم من أنكره؟، وما أدلة ثبوته؟

والجواب:

- أما المراد باليوم الآخر: فهو يوم القيامة الذي يبعث الله فيه الخلق أجْمعين الأولين والآخرين للجزاء علىٰ أعمالِهم، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ولا يظلم ربك أحدًا.

- وأما وجه تسميته بذلك؛ فلأنه لا يوم بعده، إذ يستقر السعداء فِي منازِلهم فِي دار النعيم المقيم، فِي جوار الرب الرحيم، ويستقر الأشقياء فِي منازِلهم فِي دار الجحيم، يأكلون من الضريع ويشربون من الحميم.

- وأما حكم الإيْمان به فهو واجب؛ لأنه ركن من أركان الإيْمان، ومن أنكره أو أنكر شيئًا مِمَّا سيكون فيه من الجنة، والنار، والجزاء علىٰ الأعمال، والمرور علىٰ الصراط، والميزان، وتطاير الصحف فِي الأيدي، والحوض، والشفاعة، وغير ذلك مِمَّا هو معلوم من الشرع بالضرورة؛ فقد ضل سواء السبيل؛ قال الله ﷻ: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧]. وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٥-١٦]. وقال -تبارك وتعالىٰ- إخبارًا عن أولئك المنكرين: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا

يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ [الإسراء:٤٩-٥١].

وقال عنهم كذلك: ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴾ [الصافات:١٥-١٩]. وغير ذلك كثير.

وأما أدلة السنة فمنها: قوله ﷺ في الصحيحين: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلا**»(١).

وأما الإجْماع: فقد أجْمع المسلمون قاطبة علىٰ مجيئه ووقوعه وثبوت ما سيكون فيه، إذ إن الله قضىٰ أن يكون للخليقة أولاها وأخراها معادًا يردون إليه، ويُجازون علىٰ ما كلفوا به علىٰ ألسنة رسل الله الذين جاءوا بالحق وبه كانوا يعملون وفِي سبيله يُجاهدون.

ومِمَّا هو جدير بالعلم واليقين أن تكليف الخليقة بالأوامر والنواهي من غير أن يترتب علىٰ ذلك جزاء ضربٌ من العبث الذي يتنَزَّه عنه رب العزة والجلال القائل فِي مُحكم تنْزيله: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون:١١٥-١١٦].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب كيف الحشر، حديث رقم (٦٥٢٧) ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب فناء الدّنيا وبيان الحشر يوم القيامة (ج٤ رقم٢٨٥٩ ص٢١٩٤) واللفظ لمسلم، من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

ومن ثَمرات الإيْمان بِهذا الأساس المتين ما يأتِي:

أ- الإقبال علىٰ فعل الخيرات، والحرص علىٰ كسب الحسنات من أقوال وأفعال ومعتقدات، وما ذلك الإقبال إلا لأن فاعلها يرجو ثوابَها الذي وُعد به فِي مُحكم التنْزيل وصحيح السنة المطهرة.

ب- الكفُّ عن المعاصي أقوالِها وأفعالِها باطنها وظاهرها، إذ إن اقترافها سبب فِي عقوبة الله الَّتِي توعَّد بِها العصاة الذين تعدَّوا حدوده، وأضاعوا فرائضه، وأعرضوا عما جاء به المرسلون، المشتمل علىٰ الأمر بكل برٍّ وفضيلة، والنهي عن كل شر ورذيلة.

المناقشة:

سؤال (١١): هل اختلف الصحابة الكرام ﷺ في شيء من مسائل العلم أم لا؟

الجواب: نعم، حصل الخلاف بينهم في بعض مسائل العلم الشرعية من الأحكام العملية التي يسوغ الاجتهاد فيها، وأما في الأصول كأركان الإسلام وأركان الإيمان ونحوها من أحكام الحلال والحرام المحكمة؛ فإنهم لم يختلفوا فيها، وما كان في شيء منها من اختلاف بينهم فهو اختلاف تنوُّع لا اختلاف تضاد.

وَقَالا: وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ فِي مَشِيئَةِ اللهِ ﷻ. (١)

---

(١) قولهما: (وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ فِي مَشِيئَةِ اللهِ ﷻ):

المراد بالكبائر جمع كبيرة، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في ضابط الكبيرة: «هِيَ كُلُّ ذَنْبٍ خَتَمَهُ اللهُ بِنَارٍ أَوْ غَضَبٍ أَوْ لَعْنَةٍ أَوْ عَذَابٍ»[1]. وهي بهذا التعريف الواسع لا تنحصر في السبع أو التسع الواردة في الحديث، وإنما هي كثيرة ولكن بعضها أعظم من بعض.

ويروىٰ أن ابن عباس رضي الله عنهما سئل عن الكبائر: أسبع هي؟ فقال: «هِيَ إِلَىٰ السَّبْعِينَ أَقْرَبُ»[2]. وقال لسائل آخر: «هِيَ إِلَىٰ السَّبْعِمِائَةِ أَقْرَبُ»[3]. غير أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار، وقد وعد الله ﷻ مجتنبي الكبائر من عباده أن يكفر عنهم سيئاتهم ويدخلهم مدخلًا كريمًا، فقال ﷻ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء:٣١].

ومن ناحية أخرىٰ، فقد مدح الله قومًا اجتنبوا كبائر الإثم والفواحش فقال: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ﴾ [النجم:٣١-٣٢].

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨/ ٢٤٦) الأثر رقم (٩٢١٢).

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٠/ ٤٦٠رقم١٩٧٠٢)، والطبري في تفسيره (٨/ ٢٤٥-٢٤٦) برقم (٦٢٠٦، ٦٢٠٨، ٦٢٠٩)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٢٨٢).

(٣) أخرجه الطبري في التفسير (٨/ ٢٤٥) برقم (٦٢٠٧)، وابن أبي حاتم في التفسير كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٢٨٣).

وجعل سبحانه اجتناب الكبائر من صفات أهل الإيمان بالله والتوكل عليه، حيث قال: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى:٣٦-٣٧].

وقد جاء في الحديث الصحيح ذكر تسع من الكبائر لشدة خطرها وكثرة ضررها فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اِجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: **الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ قَتْلَهَا إِلا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**»(١).

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند البخاري في الأدب المفرد ذكر السبع، وزاد: «**وَالإِلْحَادُ فِي الْحَرَمِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ**»(٢).

والمراد بأهلها: هم المقترفون لشيء منها وماتوا بدون توبة وهم من أهل التوحيد والصلاة.

فمذهب أهل السنة والجماعة فيهم وسط بين الخوارج والمعتزلة الذين يُكفِّرون بكبائر الذنوب، ويحكمون علىٰ أهلها بالخلود في النار إن ماتوا بغير توبة، وبين المرجئة الجهمية الذين يرون أن أهل الكبائر من أهل الإيمان الكامل، حيث عرَّفوا الإيمان بأنه « مجرد المعرفة بالقلب» ومن ثَمَّ

---

(١) رواه البخاري: في كتاب الوصايا باب قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾، حديث رقم (٢٧٦٦)، ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها (ج١ رقم٨٩ ص٩٢).

(٢) الأدب المفرد (٨) موقوفا علىٰ ابن عمر رضي الله عنهما.

لا عقوبة علىٰ أهل الكبائر عندهم ما داموا قد عرفوا ربهم بقلوبهم .

إذا فهم معتقد هذه الطوائف الهالكة، فاعلم أن معتقد أهل السنة والجماعة في أهل الكبائر الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم غير أنهم من أهل التوحيد والصلاة، أنهم تحت مشيئة الله ﷻ ؛ إن شاء عفا عنهم فلم يدخلهم النار، وإن شاء أدخلهم النار بقدر ذنوبهم، ومآلهم إلىٰ الجنة، بفضل الله ﷻ ثم بشفاعة الشافعين، إذ إن الله يأذن في الشفاعة للموحدين، فتشفع الملائكة، ويشفع الرسل والأنبياء، ويشفع المؤمنون حتىٰ لا يبقىٰ في النار أحد من أهل التوحيد والصلاة.

المناقشة:

سؤال (١٢): الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد:٣٣]، ما هو المراد بإبطال الأعمال في هذه الآية؟

الجواب: قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تأويل هذه الآية: «﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ في أمرهما ونهيهما، ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ بقول، «ولا تبطلوا -بمعصيتكم إياهما وكفركم بربكم- ثوابَ أعمالكم؛ فإن الكفر بالله يحبط السالف من العمل الصالح ».

وأورد عن قتادة: «قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ من استطاع منكم أن لا يبطل عملًا صالحًا عمِلَه بعمل سيء فليفعل، ولا قوة إلا بالله، فإن الخير ينسخ الشر، وإن الشر ينسخ الخير، وإن ملاك الأعمال بخواتيمها»[1].

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢/ ١٨٧).

وَلا نُكَفِّرُ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِذُنُوبِهِمْ، وَنَكِلُ سَرَائِرَهُمْ إِلَىٰ اللهِ ﷻ.(١)

(١)هذا بيانٌ لمعتقد أهل السنة والجماعة؛ أنهم لا يكفِّرون أهل القبلة بذنوبهم، والمراد بأهل القبلة؛ الموحِّدون الذين وحَّدوا الله ﷻ وأقاموا فرائضه، مهما ارتكبوا من الذنوب -الكبائر والصغائر- فإن أهل السنة والجماعة لا يحكمون علىٰ أحد منهم بالكفر ولو مات علىٰ ذلك؛ ولكن أهل السنة والجماعة يرجون للمحسن ويخافون علىٰ المسيء، والعصاة تحت مشيئة الله -كما سبق- إن شاء عذَّبهم وإن شاء عفا عنهم، ولا يكون خالدًا في النار إلا أصحاب الشرك الأكبر والكفر الأكبر والنفاق الاعتقادي والإلحاد المخرج من ملَّة الإسلام، وأما عصاة الموحِّدين فلا يجوز لأحد أن يكفِّرهم بذنوبٍ دون الشرك الأكبر والكفر الأكبر والنفاق الاعتقادي والإلحاد المخرج من الملَّة، فمن فعل ذلك فقد سلك مسلك المعتزلة والخوارج؛ لأنهم هم الذين يكفِّرون بالذنوب.

أما الخوارج فيحكمون علىٰ مرتكب الكبائر بالكفر في الدنيا والآخرة؛ في الدنيا يكون كافرًا حلال الدم والمال والعرض، وفي الآخرة يكون خالدًا مخلَّدًا في النار إذا مات بدون توبة.

والمعتزلة يخالفونهم في الحكم الدنيوي فيقولون: هو في الدنيا في منزلة بين المنزلتين، والمراد بالمنزلتين الكفر والإيمان، وأما في الآخرة فيتفقون مع الخوارج بالقول بخلود عصاة الموحدين في النار.

وهؤلاء خالفوا أهل السنة والجماعة وقالوا علىٰ الله بغير علم، فارتكبوا ذنبًا عظيمًا وحجَّروا واسعًا وتركوا القول بالنصوص التي فيها الجمع بين

نصوص الوعد والوعيد، فبطل قولهم، واستقام قول أهل السنة والجماعة الذين أخذوا بجميع النصوص وجمعوا بين نصوص الوعد والوعيد فهدوا إلىٰ الحق وإلىٰ طريق مستقيم .

وَنُقِيمُ فَرْضَ الْجِهَادِ وَالْحَجِّ مَعَ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ دَهْرٍ وَزَمَانٍ، وَلا نَرَىٰ الْخُرُوجَ عَلَىٰ الأَئِمَّةِ وَلا الْقِتَالَ فِي الْفِتْنَةِ، وَنَسْمَعُ وَنُطِيعُ لِمَنْ وَلاهُ اللهُ ﷻ أَمْرَنَا وَلا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ. (١)

---

(١) هذا مذهب أهل السنة والجماعة بأنهم يرون الجهاد، وأن فرض الجهاد قائم إلىٰ يوم القيامة؛ ولكن بشروط؛ إذا توفرت شروط الجهاد وانتفت موانعه لزم القيام به، وهو فرض كفاية، إلا في ثلاثة مواطن فهو فرض عين:

الأول: إذا نزل العدو بالمسلمين وجب علىٰ من نزل بهم أن يقاتلوهم ويستنصروا الله ﷻ عليهم مهما كان حالهم.

ثانيًا: إذا دعا الإمام وعيَّن قومًا واستنفرهم للجهاد في سبيل الله وجب عليهم طاعته، وتعيَّن عليهم أن ينفروا، إلا من أعذرهم الله كالأعمىٰ والأعرج والمريض الذي فقد القدرة.

ثالثًا: إذا حضر المؤمنون موطن القتال ومعركة القتال لا يجوز لهم أن يفرُّوا من وجوه الكفار؛ لأن الفرار إثم وكبيرة من كبائر الذنوب وقد حضروا موطن القتال، إلا إذا كان الكفّار مثليهم ورأوا أنهم لا يطيقون فلا حرج عليهم في الفرار، لأن الله ﷻ حذَّر من ذلك في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥]، فأمر الله بالثبات ونهىٰ عن الفرار.

هذه المواطن الثلاثة يكون الجهاد فيها فرض عين، وما عدا ذلك فهو إما فرض كفاية وإما أن يكون مستحبًّا بحسب مقتضيات الأحوال، فمتىٰ

كان فرض كفاية لزم الجميعَ القيامُ به؛ فإذا قام به البعض سقط عن الباقين، ومتىٰ كان مستحبًّا ترتَّب عليه الثواب ولم يترتَّب علىٰ تركه عقاب.

والجهاد يعقد رايتَه وألويتَه سلطانٌ له بيعةٌ في أعناق المسلمين علىٰ إقليم واحد أو أقاليم من الأرض، المهم أنه بسط يده علىٰ إقليم من أقاليم الأرض، فالذين في هذا الإقليم في أعناقهم بيعة لهذا السلطان وجب عليهم أن يجاهدوا تحت لوائه، ولا يخرجوا عن طاعته في المعروف، وسواء كان هذا السلطان من أهل البرِّ أو كان جائرًا وظالمًا طالما هو من المسلمين.

ثم من مذهب أهل السنة والجماعة ومعتقدهم، أنهم لا يخرجون علىٰ السلطان في الأرض ولو كان جائرًا وظالمًا لهم، لا يخرجون عليه لا بالكلمة التي تؤلِّب علىٰ الخروج فعلًا، ولا بالخروج بالفعل، كما يفعل الخوارج في كل زمان ومكان؛ يتكتَّلون وينظِّمون تنظيمات سرية ويجمعون الأسلحة ليخرجوا علىٰ الإمام فينقلبوا عليه ليكون الحكم بأيديهم، هذا شأن الخوارج، ويدَّعون الغيرة علىٰ شريعة الإسلام وهم يفسدون في شريعة الإسلام بخروجهم عنها، إذا فُهم ذلك فإن أهل السنة والجماعة لا يخرجون علىٰ السلطان، وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**مَنْ أَذَلَّ سُلْطَانَ اللهِ فِي الأَرْضِ أَذَلَّهُ اللهُ**»[1] وهذا أمر عظيم؛ لأن السلطان يجمع الله به الكلمة، ويؤمِّن به السبل، وتقام به الحدود، ويخاف الظالم، ويأمن المظلوم.. إلىٰ غير ذلك من المصالح التي لا تحصىٰ ولو كان

---

(١) **سنن الترمذي**: كتاب الفتن، باب ما جاء في الخلفاء، حديث رقم (٢٢٢٤)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، قال الشيخ الألباني: «حسن».

جائرًا، فإذا فُقد الوالي الجائر حصلت الفوضىٰ بين الناس، وتسلط القوي علىٰ الضعيف، والظلوم الغشوم علىٰ المظلوم الضعيف، وحصل خلل في ميزان الحياة، تكون الأمور مضطربة بين قاتل ومقتول، وسارق ومسروق ماله، وظالم ومظلوم.. وغير ذلك، وهذا أمر يعرفه من يدرس التأريخ الذي عاش الناس فيه بدون والٍ له السلطة والسيطرة علىٰ الشعب والإقليم.

ورحم الله ابن تيمية الإمام المجدد قال: «ستون سنة بإمام جائر خير من ليلة بدون سلطان. خير من ليلة واحدة بدون إمام»[١]، وهذا حق؛ لأن بالسلطان -كما في الأثر-: «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»[٢]. إذ السلطان مُهاب لا يستطيع الظلمة والفجار أن يتسلَّطوا علىٰ عباد الله المؤمنين ويفسدوا في الأرض حال وجوده.

وقد جاء الشرع الكريم بوجوب طاعة السلطان في المعروف، والتعاون معه في البر والتقوىٰ، وفيما يلي بيانٌ ما للسلطان من الحقوق علىٰ رعيته:

أ- الطاعة في كل شيء طوعًا واختيارًا لا رغبة ولا رهبة؛ وذلك لأن الله تعالىٰ أمر بطاعة ولي الأمر من المسلمين سواءً كان صاحب ولاية عامة أو خاصة حيث قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١٤/ ٢٦٨) و(٢٠/ ٥٤) و(٢٨/ ٣٩١) و(٣٠/ ١٣٦)، ومنهاج السنة النبوية (١/ ٥٤٨) و(٦/ ٤٠٧).

(٢) أثر هذا القول عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كما في مجموع الفتاوىٰ: (١١/ ٤١٦)، ويروىٰ نحوه عن عمر رضي الله عنه كما في تاريخ بغداد للخطيب: (٤/ ١٠٧). وذكره عنهما موقوفًا عليهما العامري الغزي في «الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث» ص (٦٠).

مِنكُمْ ﴾ [النساء: من الآية ٥٩].

غير أن طاعة ولي الأمر مقيدة بالمعروف، فإذا أمر بمعصية فلا سمع له ولا طاعة؛ لما ثبت في الصحيحين من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ جَيْشًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا، فَأَوْقَدَ نَارًا وَقَالَ: أُدْخُلُوهَا. فَأَرَادَ أُنَاسٌ أَنْ يَدْخُلُوهَا، وَقَالَ الآخَرُونَ: إِنَّا قَدْ فَرَرْنَا مِنْهَا. فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا: **لَوْ دَخَلْتُمُوهَا لَمْ تَزَالُوا فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَقَالَ لِلآخَرِينَ قَوْلًا حَسَنًا**، وَقَالَ: **لا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»(١).

ومثله ما ثبت عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «**عَلَىٰ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ إِلا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ؛ فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلا سَمْعَ وَلا طَاعَةَ**»(٢).

ب- والصبر علىٰ ولاة الأمر وإن جاروا علىٰ رعاياهم -كما أسلفت- ما داموا يقيمون فيهم شرع الله ويؤمِّنون لهم السبل ويسعون في سبيل صلاحهم وإصلاحهم في الدارين؛ امتثالًا لأمر رسول الله ﷺ الذي رواه مسلم من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأحكام باب السّمع والطّاعة للإمام ما لم تكن معصية، حديث رقم (٧١٤٥)، ومسلم في الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (ج٣ رقم١٨٤٠ ص١٤٦٩) واللفظ له.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأحكام باب السّمع والطّاعة للإمام ما لم تكن معصية، حديث رقم (٧١٤٤)، ومسلم في الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (ج٣ رقم١٨٣٩ ص١٤٦٩) واللفظ له.

بِشَرٍّ فَجَاءَ اللهُ بِخَيْرٍ فَنَحْنُ فِيهِ، فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: **نَعَمْ**. قُلْتُ: هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ؟ قَالَ: **نَعَمْ**. قُلْتُ: فَهَلْ وَرَاءِ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: **نَعَمْ**. قُلْتُ: كَيْفَ؟ قَالَ: **يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ وَلا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ**. قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: **تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ، وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ**»[(١)]!!

ففي هذا دليلٌ لمذهب السلف علىٰ وجوب الصبر علىٰ ولاة الأمر من المسلمين وإن جاروا علىٰ الرعية فضربوا الظهر وأخذوا المال؛ وما ذلك إلا لأهمية لزوم جماعة المسلمين وإمامهم.

ج- بذل النصح لهم لما فيه من المصالح الدينية والدنيوية، كما قال تعالىٰ: ﴿إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة: من الآية٩١].

وكما قال النَّبِيُّ ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» ثَلاثًا، قُلْنَا: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**»[(٢)]. غير أنه يجب أن تكون نصيحة ولاة الأمر بطريقة خاصة فيها سترٌ عليهم، وإذا كانت كذلك فهي جديرة بالقبول، وأما إذا كانت علىٰ رؤوس الأشهاد

---

(١) مسلم في الإمارة باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدّعاة إلىٰ الكفر (ج٣ رقم١٨٤٧ ص١٤٧٦).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة (ج١ رقم٥٥ ص٧٤-٧٥)، وأبو داود في الأدب باب فِي النَّصِيحَةِ، حديث رقم (٤٩٤٤)، والنسائي في كتاب باب النصيحة للإمام، حديث رقم (٤١٩٧ و٤١٩٨)، وأحمد (٤/ ١٠٢)، من رواية تميم الداري رضي الله عنه.

وعلىٰ سبيل العلن؛ فإنَّها تبعث علىٰ الاستنكاف عنها غالبًا، بل ربما وصل الأمر بالبطش بالناصح وإن كان أمينًا.

د- نَهيهم عن المنكر إذا ارتكبوه عنادًا أو جهلًا، وسواءً فيما بينهم وبين ربِّهم أو فيما بينهم وبين رعاياهم، والنهي عن المنكر فريضة علىٰ المسلم بحسب قدرته وفي حدود استطاعته، وإن أولىٰ الناس بنصح ولاة الأمور وأمرهم بالمعروف ونَهيهم عن المنكر هم العلماء الذين يعرفون حدود المعروف وحدود المنكر ومدىٰ فضيلة الأول، ومدىٰ خطر الثاني، ولسلفنا الصالح مواقف مع ولاة الأمر غير خافية.

و- الدعاء لهم بالتوفيق والهداية إلىٰ أقوم طريق، لاسيما من أهل العلم والتقوىٰ الذين يهمهم شأن المسلمين ويحرصون علىٰ مصالحهم الدينية والدنيوية، ويعلمون أن بصلاح الراعي تصلح الرعية غالبًا؛ لأنه قائدها وآمرها وناهيها وهي المأمورة بالسمع والطاعة له في المعروف، ألا وإن دعاء الرعية المسلمين لإمامهم دليل علىٰ صلاحه؛ كما في حديث عوف بن مالك الأشجعي وفيه: «... **خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ**» الحديث[1].

ز- عدم الخروج عليهم بسبب عمل معصية أو بدعة لَم تخرج صاحبها من الإسلام ما داموا يقيمون الحدود والشعائر ويؤمِّنون السبل، فإذا جاء الوالي المسلم بمعصية يكفُر بِها شرعًا وجب نصحه إن أمكن، فإن أصر وجب خلعه عند القدرة علىٰ ذلك؛ لأنه لا سلطان لكافر علىٰ

---

(١) رواه مسلم في الإمارة باب خيار الأئمة وشرارهم (ج٣ رقم ١٨٥٥ ص١٤٨١-١٤٨٢).

مؤمن كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: من الآية١٤١].

ولما روىٰ مسلم في صحيحه عن جنادة بن أبي أمية قال: دَخَلْنَا عَلَىٰ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه وَهُوَ مَرِيضٌ فَقُلْنَا: حَدِّثْنَا -أَصْلَحَكَ اللهُ- بِحَدِيثٍ يَنْفَعُ اللهُ بِهِ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقَالَ: **دَعَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، قَالَ: «إِلا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»**[1].

ففي هذا الحديث نَهيٌ صريح عن الخروج علىٰ ولاة الأمور بدون حجة من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ ولو كانوا فسقةً ظالمين غير كافرين، ولا يجوز نزعُ اليد من طاعتهم؛ فإن في ذلك خطرًا عظيمًا وجهلًا شنيعًا ما داموا مسلمين ويقيمون في الرعية أمر الدين، هذا وكم من حديث صحيح جاء فيه التحذير من خلع اليد من طاعة من قد أعطاه صفقتها.

فقد روىٰ مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»[2].

---

(١) رواه مسلم في الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (ج٣ رقم١٧٠٩ ص١٤٧٠)، ورواه البخاري نحوه في كتاب الفتن باب قول النّبيّ -ﷺ-: «سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا»، حديث رقم (٧٠٥٥ و٧٠٥٦).

(٢) رواه مسلم في الإمارة باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدّعاة إلىٰ الكفرِ (ج٣ رقم١٨٥١ ص١٤٧٨)

ط- وجوب الوفاء ببيعة الأول فالأول فيما إذا بويع لأكثر من خليفة أو أمير أو فيما إذا بويع لخليفة وجاء آخر ينازعه ليطيح به ويغلب علىٰ أمره؛ فإنه يتعيَّن علىٰ من بايعوا الأول أن يثبُتوا علىٰ الوفاء له، وأن يدفعوا الآخر ولو بضرب عنقه كائنًا من كان إن استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلًا؛ لأنه يعتبر معتديًا وطالبًا ما ليس له، فقد جاء عن عرفجة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ؛ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ**».

وفي أخرىٰ: «**مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَىٰ رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ**»(١).

وعند مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا بُوِيعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الآخِرَ مِنْهُمَا**»(٢).

قلت: ففي هذه النصوص وجوبُ الوفاء بالبيعة للأول فالأول، فإذا جاء آخر ينازعه وجب علىٰ أهل الحل والعقد دفعه، فإن لَم يندفع وينْزجر فإنه يجب أن يقتل؛ لتبقىٰ الجماعة آمنة غير متنازعة ولا متقاتلة، اللهم إلا إذا تغلَّب الآخر علىٰ الأول واستتب له الأمر واجتمع عليه الناس ولا سبيل إلىٰ نصرة الأول؛ فتتعين مبايعته لئلا تسفك الدماء وتسود الفوضىٰ.

وللشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ -وهو من أئمة السلف في

---

(١) رواه مسلم في الإمارة باب حكم من فرّق أمر المسلمين وهو مجتمع (ج٣ رقم١٨٥٢ ص١٤٧٩-١٤٨٠).

(٢) رواه مسلم في الإمارة باب حكم من فرّق أمر المسلمين وهو مجتمع (ج٣ رقم١٨٥٣ ص١٤٨٠).

العصر الحديث- رسالة في وجوب طاعة أولي الأمر وإن ظلموا، جاء فيها ما نصه: «وقد بلغني عن بعض من غرَّه الغَرور الطعنُ في العلماء ورميُهم بالمداهنة، وأشباهُ هذه الأقاويل الَّتي صدَّت أكثر الخلق عن دين الله، وزيَّن لهم الشيطان بسبب ذلك الطعن في الولاية بأمور، حقيقتُها البهتانُ والطعنُ الباطل، وقد علمتم ما جاء به ﷺ وفرضه من السمع والطاعة؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: من الآية٥٩].

ولَم يستثن سبحانه برًّا من فاجر، ونَهىٰ ﷺ عن إنكار المنكر إذا أفضىٰ إلىٰ الخروج عن طاعة ولي الأمر ونَهىٰ عن قتالهم لما فيه من الفساد؛ فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «**دَعَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَىٰ السَّمعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَكْرَهِنَا وَمَنْشَطِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسرِنَا وَأَثرَةٍ عَلَيْنَا وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ إِلا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**». أخرجاه في الصحيحين[1].

فقوله: «**وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ**». دليلٌ علىٰ المنع من قتال الأئمة إلا أن يروا كفرًا بواحًا، وهو الظاهر الذي قد أباح به صاحبه، فطاعة وليِّ الأمر وتركُ منازعته هي فصلُ النِّزاع بين أهل السنة وبين الخوارج والرافضة.

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**اِسْمَعْ وَأَطِعْ لِلأَمِيرِ وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ**»[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا**

---

(١) سبق تخريجه ص(١٤٥).

(٢) سبق تخريجه ص(١٤٢).

يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا فَمَاتَ إِلا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»(١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»(٢). فذكر في هذا الحديث البيعة والطاعة، فالخروج عليهم نقضٌ للعهد والبيعة، وترك طاعتهم تركٌ للطاعة.

وبِهذه الأحاديث وأمثالها عمل أصحاب رسول الله ﷺ وعرفوا أَنَّها من الأصول الَّتِي لا يقوم الإسلام إلا بِها، وشاهدوا من يزيد بن معاوية والحجاج ومن بعدهم خلا الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز أمورًا ظاهرة ليست خفية، ونَهوا عن الخروج عليهم والطعن فيهم، ورأوا أن الخارج عليهم خارجٌ عن دعوة المسلمين إلىٰ طريق الخوارج، ولهذا لما حج ابن عمر رضي الله عنهما مع الحجاج وطعن في رجله قيل له: **أَنُبَايِعُكَ عَلَىٰ الْخُرُوجِ عَلَىٰ الْحَجَّاجِ وَعَزْلِهِ** - وهو أمير من أمراء عبد الملك بن مروان -؟ غلظ الإنكار عليهم وقال: «**لا أَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**». واحتج عليهم بالحديث الذي تقدم ذكره. إلىٰ أن قال: «إذا فهمتم فاشكروا نعمة الله عليكم بما منَّ به من إمامة إسلام تدعوهم إليهم ظاهرًا وباطنًا مما سمعتم وصدَّقه الفعل؛ من بذل المال والسلاح والقوة، وإعانة المهاجرين من أجل دينه، لا لقصدٍ سوىٰ

---

(١) رواه البخاري في الفتن باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا**»، حديث رقم (٧٠٥٣ و٧٠٥٤)، وفي الأحكام باب السّمع والطّاعة للإمام ما لم تكن معصية، حديث رقم (٧١٤٣). ومسلم في الإمارة (ج٣ رقم١٨٤٩ ص١٤٧٧-١٤٧٨).

(٢) سبق تخريجه ص(١٤٥).

ذلك، يعرف ذلك من عرفه، ولا يجحده إلا منافق مفارق بقلبه ونيته ما اعتقده المسلمون وقاموا به.

وأما الطعن علىٰ العلماء، فالخطأ ما يُعصم منه أحد، والحق ضالَّة المؤمن، فمن كان عنده علم يقتضي الطعن فليبيِّنه جهارًا، ولا يخَفْ في الله لومة لائم؛ حتىٰ يعرفوا حقيقة الطعن وموجبه، واحذروا التمادي في الضلالة، والخروج عن الجماعة؛ فالحق عيوف، والباطل شنوف، والشيطان متكئ علىٰ شماله يدبُّ بين الأمة بالعداوة والشحناء، عياذًا بالله من فتنة جاهل مغرور أو خديعة فاجر ذي دهاء وفجور، يميل به الهوىٰ ويزين له الشيطان طرق الغواية والردىٰ.

والله أسأل أن يثبِّتنا وإياكم علىٰ دينه، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا من لدنه رحمة؛ إنه هو الوهاب، وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم الدين»[1]. انتهىٰ.

وقال الشيخ سعد بن حمد بن عتيق كلامًا في هذا الموضوع -وهو إمام من أئمة السلف في العصر الحديث- قال: «ومما انتحله بعضُ هؤلاء الجهلة المغرورين الاستخفافُ بولاية المسلمين، والتساهل بمخالفة إمام المسلمين، والخروج عن طاعته، والافتيات عليه؛ وهذا من الجهل والسعي في الأرض بالفساد بمكان، يعرف ذلك كلُّ ذي عقل وإيْمان، وقد علم بالضرورة الإسلامية أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة، وإن الخروج عن طاعة أولي أمر المسلمين

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٢/ ٩١-٩٤).

والافتيات عليه من أعظم أسباب الفساد في البلاد والعباد، والعدول عن سبيل الهدىٰ والرشاد.

وقد قيل:

تَهدي الأمور بأهل الرأي إن رشدت ... وإن تولت فبالأشرار تنقاد

لا يصلح الناس فوضىٰ لا سراة لهم ... ولا صلاح إذا جهالهم سادوا

وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «**وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ: السَّمْع، وَالطَّاعَة، وَالْجِهَاد، وَالْهِجْرَة، وَالْجَمَاعَة، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ؛ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ**»(١).

وفي الحديث أيضًا: «**ثَلاثٌ لا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلاةِ الأَمْرِ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ**»(٢).

إلىٰ أن قال: ومن ذلك ما وقع من غلاة هؤلاء؛ من اتِّهام أهل العلم والدين، ونسبتهم إلىٰ التقصير، وترك القيام بما وجب عليهم من أمر الله

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٣٠ و٢٠٢) والترمذي في كتاب الأمثال باب ما جاء في مثل الصّلاة والصّيام والصّدقة، حديث رقم (٢٨٦٣)، في حديث طويل من رواية الحارث الأشعري رضي الله عنه. قال الترمذي: « هذا حديث حسن صحيح غريب».

(٢) رواه أحمد (٤/ ٨٠ و٨٢)، وابن ماجه في كتاب المناسك باب الخطبة يوم النّحر، حديث برقم (٣٠٥٦)، من حديث جبير ابن مطعم رضي الله عنه.
وابن ماجه في المقدمة باب من بلّغ علما، حديث رقم (٢٣٠)، والدارمي في المقدمة باب الاقتداء بالعلماء، حديث رقم (٢٢٩)، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.
ورواه نحوه الترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في الحث علىٰ تبليغ السماع، حديث رقم (٢٦٥٨)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

سبحانه، وكتمان ما يعلمون من الحق.

ولَم يدر هؤلاء الجهلة أن اغتياب أهل العلم والدين والتفكه بأعراض المؤمنين سمٌّ قاتل وداءٌ دفين وإثمٌ واضح مبين؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨].

وقال الشاعر:

أَقِلُّو عَلَيْهِمْ لا أَبَا لأَبِيكُمُو ... مِنَ اللَّوْمِ أَوْ سُدُّوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا

ومما قاله الإمامان الجليلان محمد بن عبد اللطيف وعبد الله بن عبد العزيز آل الشيخ في هذا الموضوع ما نصُّه: «ومما أدخل الشيطان علىٰ بعض المتدينين إساءةُ الظن بوليِّ الأمر وعدمُ الطاعة له؛ فإن هذا من أعظم المعاصي، وهو من دين الجاهلية الذين لا يرون السمع والطاعة دينًا، بل كل منهم يستبد برأيه، وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة في وجوب السمع والطاعة لولي الأمر في العسر واليسر والمنشط والمكره، حتىٰ قال ﷺ: «اِسْمَعْ وَأَطِعْ وَإِنْ أَخَذَ مَالَكَ وَضَرَبَ ظَهْرَكَ»[1]. فتحرم معصيتُه والاعتراضُ عليه في ولايته وفي معاملته وفي معاقدته ومعاهدته؛ لأنه نائب المسلمين والناظر في مصالحهم، ونظره لهم خير من نظرهم لأنفسهم؛ لأن بولايته يستقيم نظام الدين، وتتفق كلمة المسلمين، لاسيما وقد منَّ الله عليكم بإمام ولايته ولايةٌ دينية، وقد بذل النصح لعامة رعيته من المسلمين -خصوصًا المتدينين- بالإحسان إليهم، ونفعهم، وبناء مساجدهم، وبث

(١) سبق تخريجه ص(١٤٢).

الدعاة فيهم، والإغضاء عن زلاتِهم وجهالاتِهم، ووجود هذا في آخر الزمان من أعظم ما أنعم الله به علىٰ أهل هذه الجزيرة، فيجب عليهم شكر هذه النعمة، ومراعاتِها، والقيام بنصرته، والنصح له باطنًا وظاهرًا، فلا يجوز لأحد افتياتٌ عليه، ولا مُضيٌّ في شيء من الأمور إلا بإذنه، ومن افتات عليه فقد سعىٰ في شق عصا المسلمين وفارق جماعتهم، وقد قال النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ عَصَىٰ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ**»(١).

والمراد بالأمير في هذا الحديث: مَنْ وَلاه الله أمر المسلمين وهو الإمام الأعظم».

قال ابن رجب -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ- في شرح الأربعين له: «وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا، وبها تنتظم مصالح العباد في معاشهم، وبِها يستعينون علىٰ إظهار دينهم وطاعة ربِّهم؛ كما قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ النَّاسَ لا يُصْلِحُهُمْ إِلا إِمَامٌ بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ إِنْ كَانَ فَاجِرًا عَبَدَ الْمُؤْمِنُ فِيهِ رَبَّهُ وَحُمِلَ الْفَاجِرُ فِيهَا إِلَىٰ أَجَلِهِ»(٢).

وقال الحسن في الأمراء: يَلُونَ مِنْ أُمُورِنَا خَمْسًا: الْجُمُعَةَ، وَالْجَمَاعَةَ،

---

(١) رواه أبو عوانة في الصحيح المستخرج علىٰ مسلم (ج٤ رقم٧٠٩٥ ص٤٠١) من رواية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأصله في الصحيحين: البخاري في الجهاد باب يقاتل من وراء الإمام ويتّقىٰ به، حديث رقم (٢٩٥٧)، ومسلم في كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، (ج٣ رقم١٨٣٥ ص١٤٦٦) بلفظ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَىٰ أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي**».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٧٥٠رقم٣٧٩٠٧) والبيهقي في السنن الكبرىٰ (٨/ ١٨٤).

وَالْعِيدَ، وَالثُّغُورَ، وَالْحُدُودَ، وَاللهِ مَا يَسْتَقِيمُ الدِّينُ إِلا بِهِمْ وَإِنْ جَارُوا وَظَلَمُوا، وَاللهِ لَمَا يُصْلِحُ بِهِمْ أَكْثَرُ مِمَّا يُفْسِدُونَ مَعَ أَنَّ طَاعَتَهُمْ وَاللهِ لَغَيْظٌ وَإِنَّ فُرْقَتَهُمْ لَكُفْرٌ[(١)].

وقال الخلال في الإمارة: من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «أمر رسول الله ﷺ أصحابه حين صلوا العشاء: **أَن احْشُدُوا فَإِنَّ لِي إِلَيْكُمْ حَاجَةً**، فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ صَلاةِ الصُّبْحِ قَالَ: **هَلْ حَشَدْتُمْ كَمَا أَمَرْتُكُمْ؟** قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: **اُعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، هَلْ عَقَلْتُمْ هَذِهِ؟** ثَلاثًا قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: **أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ، هَلْ عَقَلْتُمْ هَذِهِ؟** ثلاثًا. قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: **اِسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، هَلْ عَقَلْتُمْ هَذِهِ؟** قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: فَكُنَّا نَرَىٰ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَيَتَكَلَّمُ كَلامًا طَوِيلًا ثُمَّ نَظَرَ فِي كَلامِهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ جَمَعَ الأَمْرَ كُلَّهُ»[(٢)].[(٣)] انتهىٰ.

وقد كتب الإمام ابن تيمية والإمام ابن القيم في هذا الموضوع المهم حيث قال ابن تيمية في كتابه السياسة الشرعية: «يجب أن يُعرف أن ولاية أمور الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين والدنيا إلا بها؛ فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع؛ لحاجة بعضهم إلىٰ بعض، ولابدَّ لهم عند الاجتماع من رأس...

إلىٰ أن قال: فإن الله تعالىٰ أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائرُ ما أوجب الله تعالىٰ من الجهاد

---

(١) «آداب الحسن البصري» لابن الجوزي (ص١٢١).

(٢) وأخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ١٦٢ رقم٧٦٧٨) وفي مسند الشاميين (٣/ ٨٤ رقم١٨٤٣).

(٣) الدرر السنية (١٢/ ١٣٦-١٣٨).

والعمل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم وإقامة الحدود لا يتم إلا بالقوة والإمارة، ولهذا رُوي: «أَنَّ السُّلْطَانَ ظِلُّ اللهِ فِي الأَرْضِ»[١]. ويقال: «ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان».

والتجربة تبين ذلك، ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض وأحمد ابن حنبل وغيرهم يقولون: «لَوْ كَانَ لَنَا دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ لَدَعَوْنَا بِهَا لِلسُّلْطَانِ»[٢]...

إلىٰ أن قال: فالواجب اتخاذُ الإمارة دينًا وقربة يتقرب بها إلىٰ الله؛ فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة والمال»[٣] انتهىٰ.

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ- في إعلام الموقعين: «والمثال الأول: أن النَّبِيَّ ﷺ شرع لأمته إيجابًا إنكار المنكر؛ ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار منكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلىٰ الله ورسوله؛ فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار علىٰ الملوك والولاة بالخروج عليهم؛ فإنه أساس كل شر وفتنة إلىٰ آخر الدهر، وقد استأذن الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخِّرون الصلاة عن وقتها وقالوا: «أَفَلا نُقَاتِلُهُمْ؟ فَقَالَ: **لا مَا أَقَامُوا الصَّلاةَ**». وَقَالَ: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْ أَمِيرِهِ مَا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ،**

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٤٩٢رقم١٠٢٤) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) قول الفضيل رحمه الله رواه البربهاري في شرح السنة (ص١١٧) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة - في ذكر اعتقاد الإمام البخاري رحمه الله (١/ ١٧٦).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٢٨/ ٣٩٠-٣٩١).

وَلا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِن طَاعَةٍ»[١]. ومن تأمل ما جرىٰ علىٰ الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر علىٰ منكر طُلب إزالتُه فتولَّد منه ما هو أكبر منه»[٢].اهـ.

وأختتم هذه النقول القيمة عن أئمة السلف بقصة أوردها ابنُ مفلح في الآداب الشرعية حيث قال: «قَالَ حَنْبَلٌ: اِجْتَمَعَ فُقَهَاءُ بَغْدَادَ فِي وِلايَةِ الْوَاثِقِ إِلَىٰ أَبِي عَبْدِ اللهِ -يعني: الإِمَامَ أَحْمَدَ اِبْنَ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- وَقَالُوا لَهُ: إِنَّ الأَمْرَ قَدْ تَفَاقَمَ وَفَشَا -يَعْنُونَ إِظْهَارَ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ- وَلا نَرْضَىٰ بِإِمَارَتِهِ وَلا سُلْطَانِهِ. فَنَاظَرَهُمْ فِي ذَلِكَ وَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِالإِنْكَارِ فِي قُلُوبِكُمْ وَلا تَخْلَعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ وَلا تَشُقُّوا عَصَا الْمُسْلِمِينَ وَلا تَسْفِكُوا دِمَاءَكُمْ وَدِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ مَعَكُمْ وَانْظُرُوا فِي عَاقِبَةِ أَمْرِكُمْ وَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ. وَقَالَ: لَيْسَ هَذَا -يَعْنِي نَزْعَ أَيْدِيهِمْ مِنْ طَاعَتِهِ- صَوَابًا هَذَا خِلافُ الآثَارِ»[٣] اهـ.

ولعل سائلًا يسأل فيقول: ما سرُّ التوسع في إيراد تلك الأدلة والنقول في هذه الميزة من مميزات منهج السلف حيال موقفهم من حكام المسلمين؟

فنقول له: سرُّ ذلك هو ليتبين لي وللقرَّاء الكرام -طلاب الحق ومُحبِّي الهدىٰ والفضيلة- أن الخروج عن طاعة ولي الأمر المسلم -ولو كان جائرًا- يعتبرُ معصيةً عظمىٰ تجرُّ الأمة إلىٰ الفوضىٰ والدمار؛ من سفك دماء، وافتراق كلمة، ورمي الناس بعضهم بعضًا بالانحراف والضلال بدون حق.

---

(١) سبق تخريجه من حديث عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ص(١٤٠).

(٢) إعلام الموقعين (٣/ ٤).

(٣) الآداب الشرعية (١/ ١٩٦).

وليتبين أيضًا للجميع أن محاولة الخروج عليهم والتخطيط له يعتبر مُشاقَّة لله ورسوله، ومخالفة لما عليه السلف الصالح أهل السنة والجماعة.

ثم ليتبين أن ما يقع من ولي الأمر المسلم من معاص ومخالفات لا توجب الكفر والخروج من الإسلام لا تسوغ الخروج عليه ولا محاولته ولا التجمع ضده، كما لا تسوغ التشهير به في مجالس العامة، ولا التشنيع عليه، ولا الإعلان عن خطاياه في وسائل الإعلام، بل كل ذلك من الغلط الفاحش، والجهل الظاهر؛ اللذين يترتب عليهما مفاسدُ عظامٌ وأضرارٌ جسامٌ تحيط بالناس في أمر دينهم ودنياهم، كما عرف ذلك وحققه من نوَّر الله بصيرته وهدىٰ قلبه من السلف الصالح أئمة الشرع والفقه في الدين.

وقولهما: (**وَلا الْقِتَال فِي الْفِتْنَةِ**) معناه أن منهج أهل السنة والجماعة هو الإمساكُ عن القتال في الفتنة، والمراد بالفتنة هو القتالُ الذي لا يُعرف فيه المحقّ من المبطل، الأمر الذي يستدعي النظر في الفتنة حتىٰ يتبين المحق من المبطل، فيأتي دور الإصلاح بين الطائفتين أوالطوائف الموزون بميزان الشرع، فإن حُلَّت المشكلة فذاك هوالمطلوب، وإن لم تُحَلّ المشكلة بالصلح، فتُعتبر الطائفة الظالمة هي الباغية، فعلىٰ أهل الحلِّ والعقد أن يكونوا مع الطائفة المحقة ولو وصل بهم الأمر إلىٰ قتال الطائفة الباغية؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩].

(**وَلا نَنْزِع يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**) سبق الكلام عنه قريبًا.

وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلافَ وَالْفُرْقَةَ.(١)

(١) قولهما: «وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلافَ وَالْفُرْقَةَ» نقول : هذا بيانٌ لمذهب أهل السنة والجماعة، وهو في غاية الوضوح في كل زمان ومكان؛ أي أنهم يتبعون الكتاب والسنة ويَلْزمون الجماعة، والكتاب والسنة يأمران بلزوم الجماعة وينهيان عن التفرق والاختلاف؛ لأن الله -تَبَارَكَ وتَعَالىٰ- أمر بلزوم الجماعة ونهىٰ عن الفرقة، وكذلك أمر النبيُّ ﷺ بلزوم الجماعة ونهىٰ عن الفرقة لما في الفرقة من الشر؛ قال ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

فجمع بين الأمر بلزوم الجماعة والنهي عن الفرقة والخلاف، هذه طريقة أهل السنة والجماعة: يلزمون الجماعة -جماعة المسلمين - وهم الذين اجتمعوا علىٰ الحق وإن قلَّ عددهم، وإذا منَّ الله عليهم بوالٍ مسلم اجتمعوا عليه وأعانوه ودعوا له، وأشاروا عليه بالصالح لنفسه ولعباد الله، هذا موقف أهل السنة والجماعة، ونهاهم الله عن التفرق؛ قال: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١٥٩]، فَرَّقُوا دينهم أحزابًا وجماعات مختلفة متنافرة قال الله لنبيه: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي لست منهم في أعمالهم التي هي التفرقة والحرص عليها، ومن سبر حال أهل السنة والجماعة وسبر حال أهل التفرق اتضح له أن الألفة والوئام والرحمة والوفاق مع أهل السنة، وأن الفرقة والاختلاف مع أهل البدع، لذا قالوا: الألفة والوئام مقرونة بالسنة، والبدعة مقرونة بالاختلاف والفرقة.

والمراد بالاختلاف الذي يتنزه عنه أهل السنة والجماعة هو الاختلاف

في الأهواء والشذوذ، لا يجادلونهم ولا يمارونهم ولا ينصبون أنفسهم في كل وقت وحين في جدل مع أهل الأهواء؛ لكن أهل السنة يقيمون الحجة علىٰ المبتدعين والضلال والمفسدين بالبراهين من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة، فإن استجابوا لدعوتهم فذاك، وإن لم يستجيبوا لدعوة الحق ووجد سلطان للمسلمين؛ فإن الأمر يُرفع إليه ليأخذ علىٰ أيديهم؛ لئلا يفسدوا قلوب الناس وعقولهم ويسعوا بالفتنة في مجتمعاتهم؛ لأن السلطان يأخذ علىٰ أيدي السفهاء، ولا شك أن أصحاب البدع والأهواء سفهاء، فلابدَّ من الأخذ علىٰ أيديهم، وإن لم يوجد سلطان ينصف في هذا تركوا أهل الأهواء بعد أن يقيموا عليهم الحجة، تركوهم وهجروهم وزجروهم، وحذَّروا الناس منهم نصيحةً للمسلمين ونصرةً للسنة ومحاربةً للبدعة؛ لأنها ضلالة وكل ضلالة في النار، هذه المعتقدات السليمة التي مشىٰ عليها أهل السنة والجماعة مع خصومهم وفي أبواب العلم والعمل؛ وعلىٰ رأس العلم علمُ الاعتقاد وتصحيحه، وبيان ما يضاده، وعلىٰ رأس العمل توحيدُ الله -تَبَارَكَ وتَعَالىٰ-، وإقامة شعائر الإسلام، والصدق في المعاملات، والسير علىٰ نهج السلف.

المناقشة:

سؤال (١٣): إذا جرح عالم بالجرح والتعديل شخصًا ما أو جماعة، فهل يُقلَّد في ذلك؟

الجواب: نعم يُقلَّد في ذلك إذا كان عالمًا بالسنة والبدعة، ومعروفًا بصحة الاعتقاد والمنهج السلفي والثقة، لا سيما إذا أورد الأدلة علىٰ بدعة المجروح أو المجروحين؛ لأن علم الجرح والتعديل من علوم الشريعة، وعلوم الشريعة تُؤخذ عن أهلها الثقات بعين الاعتبار.

السؤال (١٤): كيف التعامل مع الجار الذي لا يصلي رغم بذل النصيحة له؟

الجواب: جملة (لا يصلي) تحتمل أكثر من معنىٰ:

المعنىٰ الأول: (لا يصلي) أي لم يؤمن بوجوبها ولا يقيمها، فهو كافر لعدم الإيمان بوجوبها وعدم إقامتها بالكلية.

المعنىٰ الثاني: (لا يصلي) أي لا يُقيم الصلاة أبدًا مع الإيمان بوجوبها، وهذا كافر عند كثير من أهل العلم.

المعنىٰ الثالث: (لا يصلي) أي يصلي بعض الصلوات ويفوته بعضها أو يؤخرها حتىٰ يخرج وقتها، فهذا علىٰ خطر عظيم، لقول الله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٤-٥] أي يؤخرونها عن أوقاتها .

المعنىٰ الرابع: (لا يصلي) أي لا يصلي مع الجماعة، بل يصليها منفردًا في بيته وسوقه، فهذا صلاته تجزئه مع الإثم الذي يحمله بسبب التخلف عن صلاة الجماعة، وقد عرَّض نفسه للوعيد الشديد الذي دلَّت عليه النصوص الشرعية، التي فيها الأمر بوجوب صلاة الجماعة علىٰ من لا عذر له؛ ومنها همُّ النبيِّ ﷺ بأن يحرِّق علىٰ المتخلِّفين عن صلاة الجماعة بيوتهم[1]، أضف إلىٰ ذلك أن المتخلِّف بدون عذر أدخل نفسه

---

(١) كما في صحيح البخاري: كتاب الأذان باب وجوب صلاة الجماعة، حديث رقم (٦٤٤)، ومسلم في المساجد باب فضل صلاة الجماعة وبيان التّشديد فىٰ التّخلّف عنها، (ج١ رقم٦٥١ ص٤٥١-٤٥٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

في باب النفاق الذي دلَّ عليه قولُ النبيِّ ﷺ: «**أَثْقَلُ الصَّلاةِ عَلَىٰ الْمُنَافِقِينَ صَلاةُ الْعِشَاءِ وَصَلاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ عَلِمُوا مَا فِيهِمَا مِنْ الأَجْرِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**»(١).

المعنىٰ الخامس: (لا يصلي) أي لا يُحسن صلاته، بمعنىٰ أنه لا يُتمُّ ركوعها، ولا سجودها، ولا القيام فيها، ولا القراءة؛ فهذا حكمه حكم من لم يصلها، وذلك بسبب إعراضه عن طلب العلم بفقه صلاته، فهذا صلاته غير مقبولة؛ لأنها غير صحيحة، وقد قال -لمثل هذا- النبيُّ ﷺ: « **اِرْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**»(٢) كما في حديث المسيء في صلاته.

وإذ كان الأمر كذلك، فالبدار البدار إلىٰ التفقه في علوم الدين؛ وفي مقدمتها الأصول كالعقيدة والصلاة، وسائر أركان الإسلام والإيمان والإحسان، والحذر الحذر من الغفلة عن ذلك والإهمال له. وأما من حيث التعامل فببذل النصيحة للجميع، ثم يُعامل كل صنف من هذه الأصناف بحسب حاله ومستواه، وخطئه الذي ارتكبه حِيال صلاته .

سؤال (١٥): إن كان الجار مبتدعا هل له حقوق المسلم المستقيم؟

الجواب: إذا كان الجار المبتدع لا تخرجه بدعته عن دائرة الإسلام؛ فله حقوق المسلم من بذل المعروف، والإحسان إليه، وكفِّ الأذىٰ عنه، وبذل النصح له؛ كي يرجع عن بدعته، ويتمسك بالسنة، ودعوته إلىٰ ذلك من

---

(١) جزء من الحديث السابق.

(٢) رواه البخاري في الأذان باب وجوب القراءة للإمام والمأموم فىٰ الصّلوات كلّها، حديث رقم (٧٥٧)، ومسلم في الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كلّ ركعة، (ج١ رقم٣٩٧ ص٢٩٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أعظم المعروف وخير الإحسان إليه، فمتىٰ استجاب لنصيحة الناصحين، وتخلَّق بأخلاق الصالحين؛ فذاك هو المطلوب الذي يقوِّي الصلة بين الجار وجاره، وإن عاند واختار البدعة علىٰ السنة والإعراض علىٰ النصيحة؛ فإنه يُهجر بعد التعليم؛ لأن ذلك هو منهج السلف في التعامل مع أهل البدع، مع بذل النصيحة لأسرته بحسب الإمكان أن يتمسكوا بالسنة، ويرفضوا البدعة التي اختارها لنفسه والدهم أو القائم بشؤونهم، ومن ثَمَّ وجب التحذير منه إذا كان داعيًا إلىٰ بدعته ليفتن بها الناس في عقيدتهم وأخلاقهم وسلوكهم، ويمكن أن يستعين جاره في معالجته له ببعض أهل العلم والصلاح الذين عُرفوا بصدق الكلمة، ومحبة الخير للغير، والله يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم.

وَقَالا: وَالنَّاسُ مُؤْمِنُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ وَلا يُدْرَىٰ مَا هُمْ عِنْدَ اللهِ ﷻ، فَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ مُؤْمِنٌ حَقًّا؛ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، وَمَنْ قَالَ: مُؤْمِنٌ عِنْدَ اللهِ؛ فَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَمَنْ قَالَ: هُوَ مُؤْمِنٌ بِاللهِ حَقًّا؛ فَهُوَ مُصِيبٌ. (١)

---

(١) قولهما: (وَالنَّاسُ مُؤْمِنُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ وَلا يُدْرَىٰ مَا هُمْ عِنْدَ اللهِ ﷻ) هذا معتقد أهل السنة والجماعة أن الناس مؤمنون في أحكام دينهم، فمن كان من أهل الإسلام فله ما للمسلمين، وعليه ما علىٰ المسلمين، وحكمه مسلم ومؤمن؛ لتلازم الإسلام والإيمان.

وأما عند الله -تَبَارَكَ وتَعَالىٰ- فهو العالم بعباده، خلقهم وهو عالم بذواتهم وبأعمالهم وبخواتيم أعمالهم، لذا تجد أهل السنة والجماعة يشهدون للمسلم بإسلامه؛ لأنه أتىٰ بأعمال الإسلام من الشهادتين وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والحج.. وغير ذلك من الفرائض، فلا يجوز لأحد أن يحكم عليه بغير هذا الحكم مِن كفر أو نفاق أو بدعة حتىٰ يظهر منه شيء من ذلك.

(فَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ مُؤْمِنٌ حَقًّا؛ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ)، (فَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ مُؤْمِنٌ حَقًّا) يعني إيمانًا كاملًا فقد خالف منهج السلف في ذلك، فالسلف الصالح -رحمهم الله- يقولون: نحن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. فهم مؤمنون بذلك، ولا يدَّعون بأنَّ إيمانهم كإيمان الملائكة والرسل والأنبياء، وأنهم كُمَّل في الإيمان؛ كلّا لا يدَّعون ذلك ولا ينفونه عن أنفسهم، فهم أهل الاعتدال والوسطية الشرعية.

(وَمَنْ قَالَ: هُوَ مُؤْمِنٌ عِنْدَ اللهِ فَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) يعني من ادَّعىٰ بأنه

مؤمن عند الله؛ فهذه دعوىٰ لا برهان عليها، وقع في الكذب؛ لأنه ما يدري ما قَدره عند الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ، وأهل السنة والجماعة أهل الإيمان بالله -تَبَارَكَ وتَعَالىٰ- يرجون رحمة ربهم ويخافون عقوبته، فلا يدَّعون لأنفسهم الكمال، وأنهم عند الله من أوليائه ومن أهل الإيمان الكامل؛ هذه دعوىٰ لا برهان عليها، ولا يجوز لأحد أن يدَّعيَها، فمن ادَّعاها فهو كاذب كما قال الإمامان رحمهما الله.

(وَمَنْ قَالَ: هُوَ مُؤْمِنٌ بِاللهِ حَقًّا؛ فَهُوَ مُصِيبٌ) أي **(مَنَ قَالَ: هُوَ مُؤْمِنٌ بِاللهِ حَقًّا)** يقصد أنه مؤمن بما أنزل الله -تَبَارَكَ وتَعَالىٰ- من الكتاب والسنة كما أمره الله بقوله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦]، أي أن الله أمرهم بذلك، فامتثل المؤمنون أمر الله ﷻ، ومثل هذه الآية قولُ الله ﷻ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥]، الآية، وقوله ﷻ: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:٨٤]، فما دلّت عليه هذه النصوص هو عقيدة المؤمنين التي أمرهم الله ﷻ أن يكونوا عليها، فمن قال: أنا مؤمن بالله حقًّا يعني بذلك امتثال ما أمره الله -تَبَارَكَ وتَعَالىٰ- أن يؤمن به، فقوله صحيح، كما أنهم -أي أهل السنة والجماعة السلف الصالح وأتباعهم- يؤمنون بالفرائض والواجبات، ويؤمنون بتحريم المحرمات، إلىٰ غير ذلك

من التكاليف الشرعية التي يجب علىٰ كل مكلَّف أن يؤمن بها أمرًا ونهيًا وتحليلًا وتحريمًا وأحكامًا، وبكل ما جاء به من بعثه الله رحمة للعالمين، بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلىٰ الله بإذنه وسراجًا منيرًا خاتم الرسل الكرام، والأنبياء العظام محمد بن عبدالله عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام، وعلىٰ صحبه الأمجاد، وآله أمة الإحسان والإيمان والإسلام .

وَالْمُرْجِئَةُ الْمُبْتَدِعَةُ ضُلالٌ. (١)

---

(١) (وَالْمُرْجِئَةُ): فرقة من الفرق الهالكة التي قال فيها النبيُّ ﷺ: «وَسَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةٍ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلاَّ وَاحِدَةً»، قِيلَ: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «هِيَ الجَمَاعَةُ»[1] والمراد بالجماعة الذين عرفوا الحق واجتمعوا عليه، وعملوا به واعتزُّوا به وعاشوا في ظلِّه، بما تحمل كلمة الحق من معنىٰ. فهم الجماعة، والجماعة أيضًا من أكرمهم الله بوالٍ مسلم فاجتمعوا عليه وقاموا بالحق الذي أوجبه الله له عليهم وأوجبه الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- له عليهم، وهو يقوم بالحق الذي أوجبه الله عليه؛ من حسن الرعاية، وتفقُّد الأحوال، وتيسير ما تيسر له من تأمين البلاد والعباد، وإعانتهم علىٰ أمر دينهم ودنياهم في حدود ما يقدر ويستطيع، وإن لم يفعل -وهو من المسلمين- وحصل منه قصور أو ظلم من أخذ الأموال ونحو ذلك؛ فالواجب الصبر، ولا يجوز أن ينزع أحد من الرعية يدًا من طاعة؛ لأنه بذلك يخالف أمر الله وأمر رسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩]، وقال النبيُّ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي عَلَىٰ الحَوْضِ»[2]،

---

(١) **سنن ابن ماجه**: كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، حديث رقم (٣٩٩٢)، من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

ونحوه في سنن أبي داود: كتاب السنة، باب شرح السنة، حديث رقم (٤٥٩٧)، من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) **البخاري**: كتاب المغازي، باب غزوة الطائف..، حديث رقم (٤٣٣٠).

ومسلم: كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم علىٰ الإسلام وتصبر من قوي إيمانه، حديث رقم (١٠٦١)، كلاهما من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه.

وأمر الرعية بالنسبة للولاة أمرهم بأن يؤدُّوا الحق الذي عليهم وافيًا كاملًا، وأن يطلبوا حقهم من الله بأن يعينهم الله ﷻ علىٰ قضاء حوائجهم إذا قصَّر واليهم.

فلعظم شأن الولاية في تأمين الناس في شأن دينهم ودنياهم أمر الشرع بالصبر والاحتساب والوفاء للوالي، ولو حصل علىٰ الرعية شيء من القصور أو الظلم أو الجور؛ فإنهم يصبرون ويؤدُّون الحق الذي عليهم، ويسألون الله الحق الذي لهم، كما دلّ علىٰ ذلك النص النبوي الكريم الذي تقدّم ذكره في هذا البحث العقدي المبارك .

هذا مذهب أهل السنة والجماعة وبيان مواقفهم المشرِّفة التي تدعو إلىٰ الأمن والأمان، بخلاف الخوارج الذين لا يرقبون في والٍ إلًّا ولا ذمة إذا هو ارتكب معصية لا تُخرجه من الإسلام .

والمرجئة أصناف وليسوا صنفًا واحدًا:

الصنف الأول: مرجئة الجهمية، وهؤلاء عرَّفوا الإيمان بأنه مجرد المعرفة بالقلب، فمن عرف ربه فهو مؤمن عندهم كامل الإيمان، لا تضرّه معصية أبدًا .

فلازم قولهم هذا أن إبليس من المؤمنين، وهو قول باطل؛ بطلانه ظاهر بالشرع والعقل.

الصنف الثاني: المرجئة الكَرَّامية: وهم القائلون: إن الإيمان مجرد النطق باللسان، أي من نطق بلسانه بالإيمان بربه فهو مؤمن كامل الإيمان عندهم ولو لم يعمل شيئًا من الأعمال، ويلزم علىٰ قولهم هذا أن المنافقين

النفاق الاعتقادي مؤمنون كاملو الإيمان، وقولهم هذا باطل مخالف لنصوص الكتاب والسنة، فإن المنافقين ينطقون بألسنتهم بالشهادتين وبقراءة القرآن ونحو ذلك، وقلوبهم مملوءة بالنفاق يبغضون الإسلام والمسلمين ويبغضون الله ورسوله فلا خلاق لهم، وهم في الدرك الأسفل من النار، كما هو صريح القرآن قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥]

الصنف الثالث: المعتزلة وهم مرجئة أيضًا لأنهم يُعرِّفون الإيمان بالقول والاعتقاد والعمل؛ ولكنه عندهم لا يزيد ولا ينقص، ولا يتجزأ، وقولهم هذا باطل؛ لدلالة النصوص علىٰ أن الإيمان يزيد وينقص؛ قال الله تعالىٰ: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٠٤]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد:١٧]، وقال ﷻ في وصف المؤمنين: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال:٠٢]، وقال النبيُّ ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[1]، ومعنىٰ قوله: «وَهُوَ مُؤْمِنٌ» أي كامل الإيمان، بل هو ناقص الإيمان بسبب الموبقات التي ارتكبها، .

الصنف الرابع: الأشاعرة ومن لفَّ لفَّهم: عرَّفوا الإيمان بأنه نطق باللسان واعتقاد بالقلب وفصلوا عنه العمل، فلم يدخلوه في مسمىٰ الإيمان، وإن اتفقوا مع أهل السنة والجماعة أن المؤمن يثاب علىٰ الطاعة وأن العاصي يستحق العقاب علىٰ معصيته؛ لكنهم فصلوا العمل عن مُسَمَّىٰ الإيمان، فجعلوه شيئًا آخر لا علاقة له بالإيمان، وغلاتهم يُعرِّفون الإيمان

---

(١) تم تخريجه في الصفحة (٢٠).

بمجرد التصديق .

الصنف الخامس: مرجئة الفقهاء: وهم يعرِّفون الإيمان بغير تعريف أهل السنة والجماعة؛ إذ يقولون: «الإيمان نطق باللسان، واعتقاد بالقلب»، وفصلوا منه العمل مع إثباتهم للثواب علىٰ الطاعات واستحقاق العقاب علىٰ المعاصي، غير أنه علىٰ تعريفهم هذا يكون الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ومن قال: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ دخل في الإرجاء.

فاتضح مما سبق تدوينه أن هذه الأصناف الخمسة وقعوا في بدعة الإرجاء علىٰ تفاوت بينهم كما رأيت، وأشدُّهم خطأً وبُعدًا عن الحق في حقيقة الإيمان المرجئةُ الجهميَّةُ، حتىٰ إن بعض العلماء لم يعتبرهم من الثنتين والسبعين فرقة لفظاعة قولهم عن الإيمان إنه مجرد المعرفة بالقلب وأن ذلك هو الإيمان الكامل، وما فظاعة قولُ الكرَّامية عن قولهم ببعيد كما رأيت.

وأما أهل السنة والجماعة حقًّا فهم الذين هداهم الله لمعرفة نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب وفهمها الفهم الصحيح، فقالوا: الإيمان:

نطق باللسان: كالشهادتين وغيرهما، من كل كَلِم طيب مفروض أو واجب أو مستحب.

واعتقاد بالقلب: أي ما قاله بلسانه يعتقده بقلبه، فظاهره وباطنه سواء.

وعمل بالجوارح: فجميع الأعمال عندهم التي تزاولُها الجوارحُ من صلاة وصوم وزكاة وحج وعمرة وطلب للعلم وأمر ونهي.. إلىٰ غير ذلك من العبادات القولية والفعلية كلُّها من الإيمان، وبالقيام بها يزداد إيمان

العبد، وبالتقصير فيها ينقص إيمان العبد، كما ينقص بفعل المعصية التي دون الكفر الأكبر، والشرك الأكبر، والنفاق الاعتقادي، والإلحاد المخرج من ملّة الإسلام .

إذن فالإيمان **يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، كما رأيت .**

فهذه القيود الأربعة (نطق باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية) لابدَّ أن تتوفر لبيان حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة؛ السلف الصالح وأتباعهم.

إذا فُهم ما سبق تفصيله؛ فاعلم أيُّها المسلم أن عقيدة الإرجاء عقيدة باطلة، ونحلة سيئة؛ لما فيها من الأخطاء الشنيعة وإن تفاوت الخطأ بين أصناف المرجئة، وقد نُسب إلىٰ مرجئة الجهمية أنهم قالوا: «لا يضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة»، ويَردُّ عليهم أهلُ السنة والجماعة: أن المعاصي تضرُّ مرتكبيها، ويستحقون بسببها العقوبات العاجلة والآجلة إن لم يتوبوا منها، وأما كون الكفر لا تنفع معه طاعة؛ فهذا خاص بالكفر الأكبر والشرك الأكبر والنفاق الاعتقادي والإلحاد المخرج من الملَّة، فلا تنفع معها طاعة.

وَالْقَدَرِيَّةُ الْمُبْتَدِعَةُ ضُلَّالٌ. فَمَنْ أَنْكَرَ مِنْهُمْ أَنَّ اللهَ ﷻ يَعْلَمُ مَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ فَهُوَ كَافِرٌ. (١)

---

(١) أي إنَّ أهل التعطيل الغلاة في باب القدر الذي يجب الإيمان به علىٰ الوجه الصحيح غير أنهم خالفوا أهل السنة في باب القدر وانقسموا فيه إلىٰ قسمين:

قسمٌ غلوا في نفي تقدير الله للمقادير وقالوا واعتقدوا أن العبد يخلق فعل نفسه، وانقسموا إلىٰ قسمين:

قسم قالوا: إن العبد يخلق فعل نفسه خيرًا أو شرًّا، وبالغوا في نفي خلق الله لأعمال العباد، حتىٰ اعتقدوا أن الله لا يعلم أفعال العباد قبل وقوعها، تعالىٰ الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

وقسم قالوا: إن الله يخلق الخير ولا يخلق الشر. وكلا القسمين أصحاب جهل وضلال نتج عنه فساد في المعتقد بسبب المصادر التي تلقَّوا منها معتقداتهم الباطلة.

وتقابل القدرية الجهمية بقسميها الجهميةُ المجبرة ويقال لها: الجبرية، ومعتقدها في باب القدر أن العبد ليس له في أفعاله فعلٌ حقيقي، بل الله هو الفاعل في الحقيقة، والعبد إن أسندت إليه أفعاله فإسنادها إليه مجاز لا حقيقة، فهم غلوا في إثبات أفعال الله حتىٰ جعلوه هو الفاعلَ حقيقة للخير بحذافيره وللشر بحذافيره. وأهل السنة وسطٌ بين القدرية النفاة وبين الجبرية الغلاة، في إسناد أفعال العباد إلىٰ الله وأن العبد لا فعل له وإنما مثله كشجرة تميلها الرياح يمينة ويسرة، فأهل السنة يؤمنون بالقدر خيره

وشره من الله تعالىٰ، وأن الله ﷻ هو الذي خلق العباد وأعمالهم؛ كما قال -عزَّ شأنُه-: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات:٩٦]، وأن العبد يعمل أعماله كلها باختياره ومشيئته التابعة لمشيئة الله واختياره، فإن فعل العبد خيرًا وبرًّا فبفضل الله وتوفيقه ثمَّ بعمله، وإن فعل شرًّا فبعدل الله وحكمته ثمَّ باختياره ومشيئته التابعة لمشيئة الله وإرادته.

وقد قال ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩].

وفي حديث جبريل المشهور قال ﷺ في أركان الإيمان: «**وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١).

* هذا ولتعلم أيها القارئ أنّ القدرية فرقة ظهرت بعد الخوارج بفكرها المنحرف اللئيم في آخر عهد الصحابة، وكان زعيمها الضال المضل معبد الجهني، ومعبد هذا قد ورث هذا الفكر المعوج من رجل نصراني من أهل العراق يقال له: سوسن، كان قد أسلم ثُمَّ تنصر مرة أخرىٰ، غير أن معبدًا هو الذي نشر هذه البدعة الشنيعة والإرهاب المضل ونادىٰ به في البصرة وانتشر كغيره من كل فكر منحرف وبدعة ضلالة.

* **والدليل علىٰ ذلك**: ما رواه مسلم في صحيحه بسنده حيث قال: «كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِي، ثُمَّ ذكر يحيىٰ بن يعمر أنه لقي عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فقال: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ وَإِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لا قَدَرَ

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب الإسلام والإيمان، (ج١ رقم٨ ص٣٧).

وَأَنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ. فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا منكرًا عليهم ذلك: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»[1].

* وسنة الله الجارية أن لكل إرث وارثا ومُوَرِّثا؛ فقد ورث هذا الفكر الإرهابي عن معبد الجهني غيلان الدمشقي، وتفاصيل القول عن هذه الفرقة ونحوها قد بسطت في مواضعها من كتب العقائد والملل والنحل، فلتطلب من هناك.

وقد وردت بعضُ الآثار والأحاديث في ذمِّ هذه الفرقة (القدرية) وأنهم مجوس هذه الأمة[2]؛ لأنهم يُثبتون خالقين كثيرين لا يُحصي عددهم إلا الله، وأن كل فرد يخلق فعل نفسه في معتقدهم الفاسد، وتقابل هذه الفرقة بالمفهوم المضاد الجبرية من الجهمية المعطِّلة، ومعتقدهم: أن العبد مجبور ومدفوع إلىٰ الأعمال خيرها وشرها، وهي فرقتان:

الفرقة الأولىٰ: نسبتْ فعل الخير والشر إلىٰ الله.

الفرقة الثانية: نسبت فعل الخير إلىٰ الله، ونسبت فعل الشر إلىٰ العبد.

والخلاصة: أن كلاًّ من القدرية والجبرية بقسميها من الفرق الضالة الهالكة، وكان أهل السنة والجماعة وسطًا بين القدرية والجبرية؛ وذلك أنهم يعتقدون أنه لا خالق إلا الله، فالعباد وأعمالهم من مخلوقات الله ﷻ،

---

(١) الحديث السابق.

(٢) سنن أبي داود: كتاب السنة باب فِي الْقَدَرِ، حديث رقم (٤٦٩١).

ويقومون بأعمالهم خيرها وشرها باختيارهم، ويَذَرُونها باختيارهم، وأن لهم قدرة ومشيئة تابعة لقدرة الله ومشيئته واختياره، وذلك سرُّ التكليف الإلهي، ومناطُ الجزاء خيرًا كان أو شرًّا.، وقد سبق الكلام عن القدرية والجبرية بما لا مزيد عليه في مثل هذا البحث المختصر، والله أعلم .

وَأَنَّ الرَّافِضَةَ رَفَضُوا الإِسْلامَ. (١)

---

(١) وأما الروافض والخوارج فقد سبق الكلام عليهم مفصَّلًا في بيان عقائدهم الفاسدة وأفكارهم المنحرفة، في الصفحة رقم (٥٠-٦٠) عند كلام المؤلفين في قولهما السابق: (وَالتَّرَحُم عَلَىٰ جَمِيعَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ).

المناقشة:

سؤال (١٦): فضيلة الشيخ ما معنىٰ قول النبيِّ ﷺ: «**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»[1]؟

الجواب: معنىٰ ذلك أي أن الله لا يأمر بالشر ولا يرضاه، وكونه لا يأمر به و لا يرضاه لا ينافي تقديره له؛ فإن الله قدَّر الخير والشر، وجعل للمكلفين قدرات علىٰ فعل الخير والشر، وأمرهم بفعل الخير ورتّب عليه الثواب العاجل والآجل، ونهاهم عن فعل الشر وبيَّن لهم أن فاعله يستحق العقوبة عليه، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، وأدلتهم عليه من الكتاب والسنة؛ قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧-٨]، وقال سبحانه معلنًا بغضه للشر ومحبته للخير: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ [الزمر:٧].

---

(١) مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة النبيِّ ﷺ ودعائه بالليل، حديث (ج١ رقم ٧٧١ ص٥٣٥).

وأما من السنة؛ فقولُه ﷺ: «**وَالْخَيْرُ بِيَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»(١)، فالبدارَ البدارَ إلىٰ فعل الخير؛ أقواله وأفعاله، ظاهره وباطنه، فرائضه ونوافله؛ إذ بذلك ينال المكلَّف رضا الله ودخول جنته ذات النعيم المقيم، وينجو من سخطه وعذابه الأليم. والله أعلم.

سؤال (١٧): إذا كان وليُّ الأمر عنده كثير من الشركيات، ولا يحكم بما أنزل الله؛ هل يجب طاعته؟

الجواب: إذا كان الوالي مشركًا شركًا أكبر أو كفرًا أكبر؛ فليس له علىٰ أحد ولاية، وليس له في أعناق الرعيَّة بيعة، ومتىٰ استطاعوا أن يخلعوه بدون أن يترتب علىٰ خلعه فساد في الدين والعرض والمال وجب عليهم خلعه، وأما إذا لم يستطيعوا فليصبروا، ولا يطيعوه في معصية حتىٰ يجعل الله لهم فرجًا ومخرجًا من ولايته، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤١]، وأيضًا لما روىٰ مسلم في صحيحه عن جنادة بن أبي أمية قال: دَخَلْنَا عَلَىٰ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه وَهُوَ مَرِيضٌ فَقُلْنَا: حَدِّثْنَا -أَصْلَحَكَ اللهُ- بِحَدِيثٍ يَنْفَعُ اللهُ بِهِ، سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقَالَ: «**دَعَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، قَالَ: «إِلا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»(٢).

---

(١) الحديث السابق.

(٢) **مسلم**: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في معصية، (ج٣ رقم١٧٠٩ ص١٤٧٠). ورواه **البخاري**: كتاب الفتن، باب قول النبيِّ ﷺ: «سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا»، حديث رقم (٧٠٥٥ و٧٠٥٦).

وَالْخَوَارِجُ مُرَّاقٌ. (١)

---

(١) قول الإمام المؤلفين رحمهما الله : (وَالْخَوَارِجُ مُرَّاقٌ) أخذًا من قول النبيِّ ﷺ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَمِيَة»[1]، وغير ذلك من الصفات الذميمة التي وصفهم بها من الخروج علىٰ ولاة أمور المسلمين والتكفير بالمعاصي التي دون الشرك.. إلىٰ غير ذلك من أعمال الخوارج ومعتقداتهم الفاسدة.

وقد سُمُّوا بذلك لأنهم خرجوا عن الحق إلىٰ الباطل، وخرجوا علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من أفاضل الصحابة رضي الله عنهم، فحكموا عليهم بالكفر لشبه وتلبيسات لبَّس بها بعضُهم علىٰ بعض، وقاتلوهم واستحلُّوا دماءهم، فأهلكهم الله علىٰ يد أصحاب النبيِّ ﷺ في ذلك الوقت، وبقي معتقدهم وفكرهم يحمله ورثتهم في كل زمان ومكان، وبئس ما ورَّثوا من المعتقدات الفاسدة والأعمال القبيحة.

وكل من خرج علىٰ حكَّام المسلمين وكفَّرهم وخرج عليهم بالسلاح، بالإرهاب الفكري والإرهاب الحسي فهو من الخوارج، كما هو صنيع من قاموا بالأحداث المؤلمة في هذا العصر وفي هذه البلاد، فإنهم ما قاموا بما قاموا به من الفساد إلا بعد أن حكموا علىٰ الناس بالكفر وفي مقدِّمتهم

---

(١) **البخاري**: كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس منه، حديث رقم (٦٩٣٣).

ومسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، (ج٢ رقم ١٠٦٤ ص٧٤١-٧٤٤)، كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

حكام المسلمين -ولاة الأمور-، فهؤلاء خوارج وزادوا علىٰ الخوارج الأولين بما أحدثوا من أحداث جديدة وهي قتل أنفسهم، وقتل غيرهم؛ بل اختيار أن يقتلوا أنفسهم، ولو لم يقتلوا غيرهم بحجة أنهم شهداء؛ هذه حجة شيطانية، فليسوا من الشهداء في شيء، وليست أعمالهم أعمال الشهداء، وإنما أعمالهم أعمال أهل الشر والفساد، وقد نهىٰ الله ﷻ عن قتل المرء نفسه في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء:٢٩]، مهما نزل به من الهم والغم والبلاء في الدنيا لا يجوز لأحد أن يعمد إلىٰ نفسه فيقتلها، كما فعل هؤلاء، ويقول الله تعالىٰ في الحديث القدسي: «**بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ فَلَهُ النَّارُ**»(١) وهو الذي ينتحر يقتل نفسه، هذا وعيد شديد، فهذا فعل الخوارج الذين قال فيهم النبيُّ ﷺ: «**إِنَّهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ**»(٢) وقال: «**هُمْ شَرُّ الخَلْقِ وَالخَلِيقَةِ**»(٣) وقال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «**هُمْ شَرُّ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ**»(٤)

---

(١) **البخاري**: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم (٣٤٦٣).

ومسلم: كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه..، (ج١ رقم ١١٣ ص١٠٧). كلاهما عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) تم تخريجه في الصفحة (١٧٤).

(٣) **مسلم**: كتاب الزكاة، باب الخوارج شر الخلق والخليقة، (ج٢ رقم ١٠٦٧ ص٧٥٠)، من حديث أبي ذر ورافع بن عمرو الغفاريين رضي الله عنهما.

(٤) **سنن الترمذي**: كتاب تفسير القرآن، باب ((ومن سورة آل عمران))، حديث رقم (٣٠٠٠).

سنن ابن ماجه: المقدمة، باب في ذكر الخوارج، حديث رقم (١٧٦)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

وقال ﷺ: «**طُوبَىٰ لِمَنْ قَاتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ**»[1] إلىٰ غير ذلك من المعجزات النبوية التي ذكرها النبي ﷺ قبل أن يفعل الخوارج ما فعلوا في عهد أصحابه الكرام، وما بعد ذلك . فالحذر من منهجهم والاعتذارات لهم، إذ لا يجوز لمسلم أن يروّج باطلهم بالاعتذارات لهم، لأن في الاعتذارات لهم ترويجًا لمعتقدهم الفاسد ومنهجهم القبيح .

---

(١) **سنن أبي داود**: كتاب السنة، باب في قتال الخوارج، حديث رقم (٤٧٦٥)، من حديث أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك رضي الله عنهما. وقال الشيخ الألباني: صحيح.

وَأَنَّ الْجَهْمِيَّةَ كُفَّارٌ.

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ الْعَظِيمِ كُفْرًا يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ، وَمَنْ شَكَّ فِي كُفْرِهِ مِمَّنْ يَفْهَمُ فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ شَكَّ فِي كَلامِ اللهِ ﷻ فَوَقَفَ شَاكًّا فِيهِ يَقُولُ: لا أَدْرِي مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ وَقَفَ فِي الْقُرْآنَ جَاهِلًا عُلِّمَ وَبُدِّعَ وَلَمْ يُكَفَّرْ، وَمَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ جَهْمِيٌّ، أَوِ الْقُرْآنُ بِلَفْظِي مَخْلُوقٌ فَهُوَ جَهْمِيٌّ. (١)

---

(١) قولهما: (وَأَنَّ الْجَهْمِيَّةَ كُفَّارٌ) الجهمية فرقة من أخبث الفرق الهالكة، فقد نفوا عن الله -تَبَارَكَ وتَعَالىٰ- أسماءه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، والله ﷻ أثبتها لنفسه في كتابه، فصنيعهم هذا واعتقادهم تكذيب للقرآن الكريم. ومن كذَّب القرآن فقد كفر، لذا فإن جمهور السلف حكموا علىٰ الجهمية المعطِّلة تعطيلًا كلِّيًّا بأنهم كفَّار كفرًا ينقل عن الملة، ومنهم صاحبا هذه الرسالة.

وذلك لأن الله سمىٰ نفسه بأسماء كالسميع، البصير، العليّ، العظيم، وغيرها كثير، ووصف نفسه بصفات، وهكذا سماه النبيُّ ﷺ ووصفه بما يتفق مع الكتاب العزيز، فاتفق القرآن الكريم والسنة المطهّرة علىٰ إثبات ما يجب إثباته لله من الأسماء الحسنىٰ، والصفات العُلىٰ ذات الجلال والكمال، واتفقا علىٰ نفي جميع النقائص والعيوب التي لا يجوز أن تُطلق علىٰ علّام الغيوب جلّ وعلا، والجهمية الملحدة نفت عن الله الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ وشبهوه بالعدم، وذلك تكذيب منهم للقرآن الكريم، ومن كذَّب القرآن فقد كفر، ومن كذَّب حرفًا واحدًا من القرآن

الكريم فهو كافر كفرًا ينقل من الملة .

فالحمد لله الذي هدانا لمعرفة ما يجب له، وما يمتنع عليه، وخذل هواة التعطيل والتشبيه، والتكييف والتمثيل، وغيرهم من أهل التحريف والتأويل .

والجهمية كذَّبوا القرآن كما أسلفت، فلا يجوز لأحد أن يعتذر لهم أو يشك في كفرهم؛ لأنهم أتوا بأكبر الأسباب التي تنقلهم عن ملة الإسلام -إن كانوا مسلمين قبل ذلك- إلىٰ ملة الكفر الأكبر، فلا يجوز الشك في كفرهم إن ماتوا علىٰ هذا الاعتقاد الفاسد، وذلك خاص بمن يفهم؛ أي عنده علم بأدلَّة الشرع بخلاف الجاهل الأمي المقلد فقد تخفىٰ عليه هذه المسألة ونظائرها من المسائل العلمية التي لا يعرفها إلا العلماء وطلاب العلم الحذاق، فمن كان أميًّا فلا يحكم عليه بما يحكم علىٰ العارف بفساد مذهب الجهمية وحكم السلف عليهم، ولكنه يُبدَّع، ويعلم حتىٰ تقوم عليه الحجة .

وقولهما: (وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ الْعَظِيمِ) كالمعتزلة الذين هم جهمية؛ إذ قالوا بخلق القرآن، وأنه مخلوق كغيره من المخلوقات، وأقام عليهم العلماء البراهين علىٰ فساد معتقدهم فأبوا أن يرجعوا إلىٰ الحق، والله ا أخبرنا بأن القرآن منزَّل من عنده، قال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر:١]، ولم يقل: إنا خلقناه، وقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، وقال سبحانه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، إلىٰ غير ذلك من الآيات الصريحة في بيان أنَّ القرآن منزَّل من عند الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود وهو سور

وآيات، وحروف وكلمات، ومعاني بيّنات .

وهذا هو فهم السلف الصالح وأتباعهم إلىٰ يوم الدين، فشذَّت المعتزلة وقالوا بخلق القرآن، ويتشبثون ببعض الآيات القرآنية تلبيسًا علىٰ الناس لتُتَقبَّل عقيدتهم كقوله ﷻ: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد:١٧، الزمر:٦٢]، قالوا: (كل) من أدوات العموم، أي كل شيء مخلوق والقرآن شيء من الأشياء؛ إذن فهو مخلوق. ولهذا قال عمر رضي الله عنه: «نَاظِرُوهُمْ بِالسُّنَّةِ -أي ناظروا أهل الأهواء بالسنة- فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ أَعْلَمُ بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ مِنْ أَصْحَابِ الأَهْوَاءِ»[1].

فهم يتتبعون ما تشابه في القرآن من الآيات التي يمكن أن يكون فيها إشكال علىٰ بعض الناس يعمدون إليها ويستدلون بها علىٰ مرادهم وأهوائهم، وقد ذمهم الله بقوله ﷻ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران:٧]، وقال النبيُّ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمْ الذِينَ يَتَتَبَعُونَ مُتَشَابِهَه فَأُولَئِكَ الذِينَ سَمَّىٰ اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»[2] هكذا حذَّر النبيُّ ﷺ من شبهات أهل الأهواء والضلال؛ ومنهم المعتزلة القائلون بما سبق ذكره، والمنكرون للشفاعة في عصاة الموحِّدين، والمنكرون رؤية المؤمنين ربهم في الجنة، وغير ذلك من العقائد الفاسدة، جزاهم الله بما يستحقون.

---

(١) رواه بنحوه الدارمي في سننه (ج١ ص٦٢ برقم ١١٩)، والآجري في الشريعة (ج١/ ٤٨٥ رقم١٥٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ج١ ص١٢٣ رقم٢٠٢).

(٢) **البخاري**: كتاب التفسير، باب ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾، حديث رقم (٤٥٤٧).
ومسلم: كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير منه، (ج٤ رقم٢٦٦٥ ص٢٠٥٣)، كلاهما من حديث عائشة رضي الله عنها.

إذن، من صرَّح بأن القرآن مخلوق فقد كذَّب القرآن، ومن كذَّب القرآن فهو كافر، وذلك بعد إقامة الحجة عليه من الكتاب والسنة، وإزالة كل شبهة هو متشبِّث بها في دعواه، وللسلف أقوال صريحة فيمن قال: القرآن مخلوق، إذ قال بعضهم: من قال ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] مخلوق فهو كافر[1]. وقال بعضهم: من قال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ مخلوق فهو كافر.. إلىٰ غير ذلك من أقوالهم.

ولا يشك أحد في كفرهم بعد إقامة البراهين علىٰ بطلان معتقدهم، وكذا تفنيد شبهاتهم، وإرشادهم إلىٰ القول الحق والعمل به، وما ذلك إلا لأن القائل بخلق القرآن مكذِّب بالقرآن؛ لأن الله أخبرنا أن القرآن منزَّل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧]، والجواب: لا أحد، فقد ظهر جليًّا أن القول بخلق القرآن كفر بعد إقامة الحجة .

والقول بخلق القرآن هو معتقد المعتزلة مع غيره من المعتقدات الفاسدة التي تتعلق بأحكام الدين والإيمان.

(وَمَنْ شَكَّ فِي كَلامِ اللهِ ﷻ فَوَقَفَ شَاكًّا فِيهِ يَقُولُ: لا أَدْرِي مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ فَهُوَ جَهْمِيٌّ) هذا قول فرقة تسمىٰ الواقفة، قالوا: القرآن لا ندري أمخلوق هو أو غير مخلوق. فوقفوا شاكين حائرين، ولم تكفهم آيات الكتاب التي منها قول الله تعالىٰ : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]،

---

(١) ذكره البخاري في خلق أفعال العباد (ص٣٣) عن عفان بن مسلم رحمه الله. ورواه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ١٠٧-١٠٨رقم١٣) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٣٠) عن سفيان الثوري رحمه الله، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٨١) عن يحيىٰ بن سعيد القطان رحمه الله.

والإنزال غير الخلق، أنزله الله، تكلَّم به قولًا، وأنزله وحيًا علىٰ رسوله محمد ﷺ بواسطة شريف الملائكة جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهو كلام الله كلُّه من فاتحته إلىٰ خاتمته، منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود.

هذه عبارات السلف بخلاف عبارات الفرق الهالكة الضالة، ومنهم الواقفة الذين وقفوا، وقالوا: لا نقول: مخلوق، ولا نقول: غير مخلوق، فهم جهمية: يعني تشبهوا بالجهمية.

هذا الذي ينبغي أن يعرفه طلاب العلم، ليبنوا للناس عقيدتهم واضحة جليّة .

وقولهما : (**وَمَنْ وَقَفَ فِي الْقُرْآنِ جَاهِلًا عُلِّمَ وَبُدِّعَ وَلَمْ يُكَفَّرْ**) نعم؛ لأن هذا من مسائل العلم التي لا يعلمها إلا طلاب العلم الأقوياء الأذكياء، والناس منهم طالب العلم، ومنهم الجاهل الذي ما اهتدىٰ إلىٰ طلب العلم؛ يعني يعيش في دنياه مهتمًّا بالأكل والشرب والملبس والمسكن والمركب والغدوِّ والرواح، وهو يجهل جُلَّ العبادات وأحكامها، وربما يقول: «لا إله إلا الله»، ولم يعرف معناها، ويقول: «محمد رسول الله»، ولا يعرف عما جاء به رسول الله ﷺ إلا ما قلَّ وندر.

فالناس ليسوا سواء، فالحقيقة؛ الجهل ظلمات، والجهل من أكبر المصائب لاسيما إذا منَّ الله عليك بفرصة في الحياة لتتعلم فتقضي الحياة في متاع الحياة الجسدية، هذا هو الخسران، وهذا الذي يعاب عليه جهال المسلمين الذين يعيشون في ديار الإسلام وفي أوساط علماء المسلمين، وتجده يجهل الأشياء التي يجب أن يعرفها في ما يتعلق بحق الله من الفرائض والواجبات والمحرمات، والأوامر والنواهي، وغير ذلك مما هو

فرض عين علىٰ كل مكلّف من بني آدم .

فهذه المسألة - مسألة القول بخلق القرآن، والوقف، والشك في هل هو مخلوق أو غير مخلوق- لا يعلمها إلا طلاب العلم، والجاهل لا يعلمها، ولكن يُعلَّم مذهب السلف ومنهجهم في هذا الباب، يقال له: القرآن كلام الله تكلم به حقيقة، وأملاه علىٰ جبريل، تكلَّم به، وحفظه وسمعه جبريل، وجبريل بلَّغه محمدًا ﷺ بدون زيادة ولا نقصان، إذن فهو كلام الله ليس لأحد فيه حرف واحد، ولا نقص منه حرف واحد؛ بل سنده من أعلىٰ الأسانيد، محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عن رب العالمين ﷻ، ومحمد ﷺ بلّغه أصحابه الكرام رضوان الله عليهم، وهم حفظوه كاملًا موفورًا، وبقي كذلك كما قال عز وجل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩]

وهكذا يحمل هذا العلم وعلىٰ رأسه القرآن من كل خلف عدوله.

فالجاهل يُعَلَّم مذهب السلف ومنهجهم، فإن قبل فذاك، وإن أبىٰ فهو ضال، يكون مبتدعًا؛ لأنه لا يدَّعي العلم ولا يجادل، قد يكون مقلِّدًا، فظلم نفسه بوقوعه في البدعة.

(**وَمَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ؛ فَهُوَ جَهْمِيٌّ، أَوِ الْقُرْآنُ بِلَفْظِي مَخْلُوقٌ؛ فَهُوَ جَهْمِيٌّ.**) هذه من الألفاظ البدعية التي لم ينطق بها سلفي لا من المتقدمين ولا من المتأخرين: (**لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ**)، هذه من الألفاظ المبتدعة المحدثة التي لم ينطق بها أحد من السلف، وإنما قال بها أهل البدع، فلا حاجة لأحدٍ إلىٰ أن يقول: (**لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ**)، أو (**الْقُرْآنُ بِلَفْظِي مَخْلُوقٌ**) كلُّ هذا من معتقد الجهمية وأقوال أهل

الأهواء والبدع، فأخف شيء في حق قائل هذه العبارة أنه مبتدع ضال؛ لأنهم يريدون أن يقولوا: القرآن مخلوق؛ فأخذوا يتحايلون بهذه العبارات المشكلة علىٰ الناس؛ ولكنها علىٰ طلاب العلم ليست مشكلة؛ لأن طلاب العلم تتبعوا ألفاظ السلف؛ فإذا هي بارزة واضحة: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، من الله بدأ وإليه يعود، المتعبد بتلاوته، المفتتح بالحمد لله رب العالمين والمختوم بالمعوذتين، كله كلام الله حروفه وألفاظه ومعانيه، كلها كلام الله.

فمن خرج عن هذا المعتقد وهذا اللفظ الصريح فهو من أهل الأهواء والبدع، ومن ذلك (**مَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوق؛ فَهُوَ جَهْمِيٌّ، أَوِ الْقُرْآنُ بِلَفْظِي مَخْلُوقٌ؛ فَهُوَ جَهْمِيٌّ.**) أي سلك مسلك الجهمية في هذه العبارات الضالة.

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: وَعَلامَةُ أَهْلِ الْبِدَعِ الْوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ الأَثَرِ. (١)

---

(١) يقول أبو حاتم الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: مما عُرف عن أهل البدع الوقيعة في أهل السنة، أي في المتمسكين بالكتاب والسنة علىٰ نهج السلف الصالح؛ ليصرفوا الناس عن التأسي بهم، والسير في طريقهم، والحقيقة أن أهل السنة هم الطائفة الناجية المنصورة، فمن نبزهم بقول أو فعل فقد عاداهم، وحينئذٍ ينطبق عليه ما جاء في الحديث القدسي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ**». رواه البخاري[1].

ومن غير شكٍّ، أن وقيعة أهل البدع في أهل السنة ثابت من المتقدمين منهم والمتأخرين إلىٰ يومنا هذا، ومن ألفاظ المتقدمين الذين أطلقوها علىٰ أهل السنة: (مُشبِّهة)، وذلك لأن أهل السنة والجماعة أثبتوا لله الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، كما قالوا عنهم: (حشوية). وقالوا عنهم: (نوابت)، وغير ذلك من الألقاب السيئة التي لا يجوز لمسلم أن يطلقها علىٰ الطائفة الناجية المنصورة أهل السنة والجماعة.

وتبعهم في هذا الزمن ورثتهم فأطلقوا علىٰ أهل السنة أوصافًا لا تليق

---

(١) صحيح البخاري: الرقاق باب التّواضعِ، حديث رقم (٦٥٠٢).

بهم كقولهم: (متشدّدين) و(دعاة فرقة)، و(علماء السلاطين)، (علماء الحيض والنفاس)، (أكلة لحوم الناس)، وما شاكل ذلك مما يحملونه أوزارًا علىٰ ظهورهم.

ومما لا شكَّ فيه، أن ما تفوَّه به أهلُ البدع المتقدمون والمتأخرون من الأوصاف السيئة التي أطلقوها علىٰ أهل السنة إنما أملاها عليهم الهوىٰ، والشيطان، والنفس الأمارة بالسوء .

فقول أبي حاتم : (**وَعَلامَةُ أَهْلِ الْبِدَعِ الْوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ الأَثَرِ**) قاعدة نافعة من عالم جليل يستدلُّ بها أهل السنة في كل زمان ومكان، فيحددون مواقفهم من أهل الأهواء والبدع، ويأخذون حذرهم منهم؛ لأنهم أصحاب دعوة إلىٰ الشر، وبذر الخلاف بين الناس.

وَعَلامَةُ الزَّنَادِقَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ: حَشَوِيَّةً، يُرِيدُونَ إِبْطَالَ الآثَارِ. (١)

---

(١) وقول أبي حاتم: (وَعَلامَةُ الزَّنَادِقَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ: حَشَوِيَّةً، يُرِيدُونَ إِبْطَالَ الآثَارِ) المراد بالزنادقة: هم أهل النفاق الذين يُظهرون ما لا يبطنون، فإن هؤلاء يذمُّون أهل السنة ويطلقون عليهم الألقاب السَّيئة، لذا سُمُّوا زنادقة؛ أي يظهرون الخير، ويبطنون الشر، أما العقلاء من الناس وأصحاب المنهج المستقيم فإنهم يعرفون فضل أصحاب السنة، ويذكرونهم بكل خير وجميل، ولا يسمحون لأنفسهم ولا لغيرهم في إطلاق العيوب علىٰ أهل السنة والجماعة لا سيما أهل الحديث والأثر، وكفىٰ أهل السنة والجماعة فضلًا وشرفًا أن الله أثنىٰ علىٰ المتقدمين والمتأخرين منهم؛ قال الله تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ٨ - ١٠].

سؤال (١٨):

أ / متىٰ يخرج الشخص من دائرة أهل السنة؟

ب / هل كل من ارتكب بدعة يسمىٰ صاحب بدعة؟ وهل يوجد فرق بين صاحب البدعة والمبتدع؟ ومتىٰ يطلق علىٰ شخص أنه مبتدع أو

صاحب بدعة؟

الجواب: أ / إذا انخرط الشخص في سلك أهل البدع يعمل بها ويدعو إليها، وبُيِّن له حكمها وخطرها، فأبىٰ إلا أن يبقىٰ عاملًا بها وداعيًا إليها؛ فإنه حينئذٍ يُقال عنه إنه من أهل البدع، ثم يُنظر في البدع التي اختارها هل هي بمكفِّر أو مُفسِّق، فإذا كانت بمكفِّر باتفاق العلماء فإنه يخرج عن دائرة السنة والإسلام، وإن كانت بمفسِّق فإنه يُصنَّف مع أهل البدع، ولا يُصنف مع أهل السنة، ولا يُفهم من هذا إخراجه من دائرة الإسلام.

ب / وأما قول السائل: هل كل من ارتكب بدعة يسمىٰ صاحب بدعة؟

والجواب: نعم؛ يُسمىٰ صاحب بدعة إذا بُيِّن له وجه الصواب وأبىٰ إلا البقاء علىٰ بدعته فهو صاحب بدعة، شاء أم أبىٰ، علم أو جهل .

وقول السائل: وهل يوجد فرق بين صاحب البدعة والمبتدع؟ والجواب: لا فرق بين صاحب البدعة والمبتدع إذا بُيِّن لصاحب البدعة بدعته وأبىٰ إلا الإصرار عليها فإنه يُسمىٰ مبتدعًا.

وقول السائل: ومتىٰ يطلق علىٰ شخص أنه مبتدع أو صاحب بدعة؟

والجواب: إذا اعتنق البدعة وعمل بها، ودعا إليها، ورفض نصيحة الناصحين الذين يدعونه لينضم إلىٰ أهل السنة والجماعة، ويرفض الفرق المبتدعة، فأبىٰ إلا أن يعيش مبتدعًا عاملًا ببدعه وداعيًا إليها، فإنه يُقال له: مبتدع، وصاحب بدعة ولا كرامة.

سؤال (١٩): إذا احتاج طالب العلم المبتدئ إلىٰ نقل كلام عالم في

تجريح شخص؛ بنقله إلىٰ بعض الإخوة فهل يجوز له ذلك ؟

الجواب: لا حرج في ذلك بشرط أن يعزوه إلىٰ العالم الذي صرَّح بجرحه المفسَّر، ولا ينسبه لنفسه، وبهذا يكون قد طبق الأمانة العلمية، وبرأ من العهدة بنسبة التجريح إلىٰ صاحبه.

وَقَالا: وَعَلامَةُ الْجَهْمِيَّةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُشَبِّهَةً. (١)

---

(١)وقولهما: (وَعَلامَةُ الْجَهْمِيَّةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُشَبِّهَةً) فيه بيان أن الجهمية من شر الفرق الضالة المبتدعة، وما ذلك إلا لتنكبهم جادة الحق في العقيدة والشريعة، ومخالفتهم لأهل السنة والجماعة، ولم يكتفوا بالمخالفة في العقيدة والمنهج؛ بل تعدّوا ذلك إلىٰ نبز أهل السنة بالألقاب السيئة، كقولهم: (مشبهة) ونحوها من الألفاظ التي حملهم علىٰ تفوههم بها اتباع الهوىٰ والشيطان والنفس الأمارة بالسوء، وقد تصدىٰ العلماء من أهل السنة والجماعة للرد عليهم ببراهين الكتاب والسنة التي بيَّنتْ فساد معتقدهم وسوء منهجهم، فكم من عالم نحرير ردَّ عليهم، وفي مقدمتهم إمام أهل السنة أحمد بن محمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ، والإمام الدارمي، والإمام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية -رحمهم الله-، وغيرهم كثير.

والجهمية تقول: ليس لله أسماء وليس له صفات، يقولون: لأننا لو أثبتنا له الأسماء والصفات شبهناه بالمخلوقات، فننفي عنه الأسماء والصفات، زعمًا منهم أن من أثبت له الأسماء والصفات فهو مشبه لله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ بخلقه، وهذا باطل؛ لأن أهل السنة والجماعة أثبتوا لله الأسماء والصفات، ونفوا عنه جميع النقائص والعيوب، فليس لله عَزَّوَجَلَّ ندٌّ ولا شبيه من مخلوقاته لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته، فعندما تقرأ قول الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١] تقول : هذان اسمان كريمان لله عَزَّوَجَلَّ: أحدهما السميع، والثاني البصير، دلَّ الأول علىٰ إثبات صفة السمع صفة ذاتية تليق بعظمة الله وجلاله، والثاني علىٰ إثبات صفة البصر صفة ذاتية تليق بعظمة

الله وجلاله، بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تأويل ولا تعطيل؛ بل كما قال الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فلا يشبِّهون الخالق بالمخلوق ولا يشبهون المخلوق بالخالق، وإنما أهل السنة يقولون: لله أسماء وصفات تليق به؛ أسماء حسنىٰ، وصفات كمال وجلال، وللمخلوق صفات تليق بحاله، فالاشتراك بين اسم الخالق العظيم واسم المخلوق وصفة الخالق وصفة المخلوق في اللفظ فقط، وأما الحقائق فصفات الله تليق به لأنها كاملة بكماله، وصفات المخلوق تليق بحاله فهي مسبوقة بالعدم ويطرأ عليها العدم، ويعتريها النقص والعطب كما هو معلوم شرعًا وعقلًا .

وَعَلامَةُ الْقَدَرِيَّةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ الأَثَرِ مُجْبِرَةً. (١)

---

(١) قول أبي حاتم : (وَعَلامَةُ الْقَدَرِيَّةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ الأَثَرِ مُجْبِرةً) قد سبق الحديث عن القدريَّة والجبرية عند قول المؤلفين : (وَقَالا: وَالْقَدَرُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ مِنَ اللهِ ﷻ).

وسميَّت الجبرية أو المجبرة بهذا الاسم لكونهم يعتقدون أن العباد مجبورون علىٰ أفعالهم، فهم يفعلون الشرَّ بدون اختيارهم، ولا مشيئتهم، ونسبة الفعل إليهم مجازٌ لا حقيقة؛ إذ إن الفاعل عندهم هو الله ﷻ تنزَّه الله عن قولهم الباطل ومعتقدهم الفاسد- ولازم قولهم ومعتقدهم أن مرتكبي المعاصي من المكلفين يُعذبون ظلمًا، وإن كانوا لا يستطيعون أن يصرِّحوا بذلك تصريحًا، وقد أطلقت القدرية علىٰ أهل السنة والجماعة أهل الحديث والأثر أنهم مجبرة، وكذبوا في ذلك؛ إذ إن أهل الحديث والأثر؛ الطائفة الناجية المنصورة، معتقدهم وقولهم وسطٌ بين القدرية الضالة والجبرية الهالكة.

إذ إن القدرية غلوا في نفي أفعال الله ونسبوها إلىٰ العباد خلقًا وفعلًا، وعطَّلوا الله من أفعاله، والجبرية عكسهم؛ غلوا في إثبات الأفعال لله ونفوا حقيقتها عن الخلق، فصار أهل السنة والجماعة وسطًا بين ضلالتين؛ لأنهم أثبتوا أن الله ﷻ خالق العباد، وخالق أفعالهم؛ خيرها وشرها، وأثبتوا أن العباد فاعلون حقيقة بمشيئة واختيار تابعين لمشيئة الله، وقد منحهم الله القدرة علىٰ فعل الخير والشر، وأنزل عليهم الكتب، وأرسل إليهم الرسل، وأمرهم بفعل الخير ووعدهم الثواب عليه، ونهاهم عن فعل الشر وتوعدهم

بالعقوبة عليه؛ قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وَعَلامَةُ الْمُرْجِئَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُخَالِفَةً وَنَقْصَانِيَّةً. (١)

(١)المرجئة؛ سبق بيان مذهبهم ومعتقدهم، وأنهم ليسوا طائفة واحدة؛ بل هم طوائف: مرجئة الجهمية، ومرجئة الكرَّامية، ومرجئة المعتزلة، ومرجئة الأشعرية، ومرجئة الفقهاء؛ وسبب تسميتهم لأهل السنة والجماعة: **(مخالفة و نقصانية)** لأنهم خالفوهم في المعتقد والمنهج، وقالوا بزيادة الإيمان بفعل الطاعة، ونقصانه بفعل المعصية، والحق أن أهل السنة والجماعة هم الموافقون للحق والقائلون به في باب الإيمان وغيره من أبواب العقيدة الإسلامية الصحيحة؛ إذ قالوا: الإيمان نطق باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأدلتهم علىٰ ذلك من الكتاب والسنة، وقد سبق بيان معتقد أهل السنة والجماعة في هذا الباب.

يقول الشاعر السلفي[1]:

إيْمانُنا بالله بين ثلاثة ... عمل وقول واعتقاد جنان

ويزيد بالتقوىٰ وينقص بالردىٰ ... وكلاهما فِي القلب يعتلجان

(١) هو الإمام عبد الله بن مُحَمَّد الأندلسي المالكي وقبل هذا البيت قوله:

«احذر عقاب الله وارج ثوابه ... حَتَّىٰ تكون كمن له قلبان»

وبعد البيتين قوله:

وإذا خلوت بريبة فِي ظلمة ... والنفس داعية إلَىٰ الطغيان

فاستحي من نظر الإله وقل لَها ... إن الذي خلق الظلام يرانِي

وَعَلامَةُ الرَّافِضَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ نَاصِبَةً. (١)

---

(١)وقولهما: «**وعلامة الرافضة تسميتهم أهلَ السنة ناصبة**» قد سبق الحديث عن الرافضة وفرقها الهالكة، ومعتقداتها الفاسدة، وعداوتها لأهل السنة مفصلًا، ولما كانت الرافضة من أخبث الفرق فلا يُستغرب تنقصهم أهل السنة، وإطلاق ألقاب السوء عليهم، ومن جملة ما قالوا عن أهل السنة: أنهم «ناصبة» أي نصبوا العداوة لأهل البيت وسلبوهم حقوقهم، انطلاقًا من مبدأ التعاون علىٰ الإثم والعدوان، رموهم بهذا وهم برآء منه، بل أهل السنة هم أهل العقيدة الصحيحة، والمنهج السليم، وأهل العناية بكتاب الله وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهم الذين يعرفون الحق لذوي الحقوق جملةً وتفصيلًا، ومن ذلك تقديرهم لأصحاب محمد ﷺ، ومحبتهم لهم، والترضي عنهم، والإيمان بأنهم أهل التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، لا كما تقول الرافضة: «علىٰ الإثم والعدوان»، وفي مقدمتهم الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم علىٰ ترتيبهم في الخلافة، وكافة أصحاب النبيِّ ﷺ، ومنهم أهل بيت النبيِّ ﷺ، وزوجاته الطاهرات، فبطل قولُ الرافضة في تسميتهم أهل السنة نواصب.

وَلا يَلْحَقُ أَهْلَ السُّنَّةِ إِلا اسْمٌ وَاحِدٌ، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ تَجْمَعَهُمْ هَذِهِ الأَسْمَاءُ. (١)

---

(١) هذا معتقد الطائفة الناجية المنصورة في أن أهل السنة لا يلحقهم إلا اسم واحد هو (أهل السنة والجماعة) وما كان بمعناه كأهل الحديث، والطائفة الناجية المنصورة، وأما ما أطلقه عليهم أهل الأهواء من الألقاب الشنيعة كقولهم عنهم: مجسمة، وحشوية، ونوابت، ومشبِّهة، وناصبة، وغيرها كل هذه الألقاب باطلة، ومن مكر السيء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، والحامل لأهل الأهواء والبدع والضلال علىٰ هذا الاعتداء الظالم والبهت الواضح هو ما تحمله قلوبهم من الأحقاد للسنة وأهلها، فبرأ الله أهل السنة من إفك أهل الأهواء وضلالهم، وأعزَّهم الله بمحبتهم لله ولرسوله وللمؤمنين من السابقين واللاحقين.

قال أبو محمد: وَسَمِعْتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَ يَأْمُرَانِ بِهُجْرَانِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْبِدَعِ، وَيُغَلِّظَانِ فِي ذَلِكَ أَشَدَّ التَّغْلِيظِ، وَيُنْكِرَانِ وَضْعَ الْكُتُبِ بِالرَّأْيِ بِغَيْرِ آثَارٍ، وَيَنْهَيَانِ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الْكَلامِ وَالنَّظَرِ فِي كُتُبِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَيَقُولانِ: لا يُفْلِحُ صَاحِبُ كَلامٍ أَبَدًا. (١)

---

(١) قول أبي محمد: (وَسَمِعْتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَ يَأْمُرَانِ بِهُجْرَانِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْبِدَعِ، وَيُغَلِّظَانِ فِي ذَلِكَ أَشَدَّ التَّغْلِيظِ) هو بيانٌ لعمل أهل السنة والجماعة، وبيانٌ لموقفهم من أهل البدع؛ وأنهم يبذلون النصيحة لهم أولًا، ويُبيّنون لهم الحق بيانًا جليًّا، فمن اتبع الحق صار فردًا من أفراد أهل السنة والجماعة، ومن أعرض عن الحق واعتصم ببدعته وضلاله هجروه، فلا يكلمونه، ولا يسلمون عليه، ولا يعودونه إذا مرض، ولا يزوجونه، ولا يتزوجون عنده؛ بل يكون منبوذًا كالبعير الأجرب الذي يُعزل عن الإبل الصحيحة، كما أمر عمرُ -رضي الله عنه وأرضاه- الأميرَ في البصرة لما نفىٰ إليها صبيغًا التميمي قال: لا يُجالس، ولا يُمكَّن من مجالسة أهل العلم، فكانوا يطردونه، فإذا دخل إلىٰ مجلس فيه ذكر وعلم وفقه انفضوا منه؛ لئلا يخالطهم هذا الرجل المبتدع، حتىٰ أعلن توبته، وحينئذٍ أجازوا مجالسته بعد أن اطمأنوا علىٰ صدقه في التوبة[1].

والمهم هو أن تعلم أيها الطالب للحق، أن أهل السنة والجماعة

---

(١) انظر: «فضائل الصحابة» للإمام أحمد (٧١٧)، والشريعة للآجري (١٥٢، ٢٠٦٤)، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (١١٣٦)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢٣/ ٤١٢)، والإصابة لابن حجر (٣/ ٤٥٨-٤٥٩).

سلفًا وخلفًا، موقفهم من أهل البدع؛ الزجر لهم بعد بيان الحق وإيضاحه، والتغليظ عليهم في ذلك، حتىٰ إن بعض السلف كان يمر بالجنازة فلا يصلي عليها؛ لأنها جنازة مبتدع، إذا عرف بأنه فلان من الجهمية أو من المرجئة أو من الخوارج لا يصلي عليه، وكانوا لا يتبعون جنازة المبتدع، وهم في ذلك غير حاكمين علىٰ المبتدع بالكفر إذا كانت بدعته لا تكفِّره، ولكن لينزجر الناس عن البدع والأهواء والمحدثات، ويحذرون من مجالسة المبتدعين؛ إذ إن من جالسهم تأثر بهم، وألقوا عليه الشبهات والتلبيس، وتوددوا إليه بكل ما يريد وبكل ما يملكون ليكون واحدًا من أفرادهم ولبنة سيئة في صفهم، ويأبىٰ الله علىٰ أهل السنة أن يجالسوا أهل البدع أو يجاملوهم أو يداهنوا في دين الله ﷻ أبدًا، ولهذا تجد أهل البدع لا يقتنصون إلا من قلَّ نصيبه من العلم وضعف إيمانه، فتجده يتأثر بأقوالهم ومغرياتهم وأمانيهم من السابقين واللاحقين.

وقوله: (**وَيُنْكِرَانِ وَضْعَ الْكُتُبِ بِالرَّأْيِ بِغَيْرِ آثَارٍ**) أي إن المؤلِفَيْن يشتدُّ إنكارهما علىٰ من اعتمد علىٰ آراء الرجال وفلسفتهم، ويريان وجوب الاعتماد علىٰ نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهَّرة التي تشفي العليل وتروي الغليل، وما ذلك إلا لأن الكتب إذا عَرِيتْ من الأدلة الشرعية فإنها لا تنفع الناس، بل الذي ينفع الناس هي أدلة الكتاب والسنة كما أسلفت قريبًا، وأما أقوال الرجال وآراؤهم وأفكارهم فهي تحمل الأخطاء الكثيرة، ولا يصحح الخطأ إلا بكلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فتجد أئمة العلم من السلف الصالح يحذِّرون الناس من كتب الآراء وكتب المتكلمين وكتب المبتدعين؛ لأنهم لا يحتاجون إليها، ومن احتضنها لا

يسلم من الشر والداء الذي فيها.

(وَيَنْهَيَانِ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ) لأن أهلَ الكلام أهلُ بدع، تركوا النصوص في باب الاعتقاد وفي غيره من أبواب العلم والعمل، واستندوا إلىٰ عقولهم الضعيفة، فما قرَّره العقل فهو الصواب عندهم الذي يؤخذ به، وما أنكره العقل تركوه -والمراد به عقولهم السخيفة الضعيفة-، أما العقل السليم فهو لا يخالف النصوص وإنما يخضع للنصوص، فالعقل محكوم عليه والنقل هو الحاكم، والعقل السليم هو الذي يستمد سلامته وصحته من الكتاب والسنة، والعقل السقيم هو الذي يعدل صاحبه عن الكتاب والسنة ويتبنىٰ أفكار الرجال الذين قل نصيبهم من العلم، فلا يسمح أهل السنة والجماعة لأنفسهم ولا لغيرهم بتبني كتب أهل الكلام؛ الذين تركوا كتاب الله وسنة نبيه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وعدلوا إلىٰ كتب الفلسفة وعلم الكلام والمنطق وما شابه ذلك فضلوا وأضلوا.

وقوله: (وَيَقُولَانِ: لَا يُفْلِحُ صَاحِبُ كَلَامٍ أَبَدًا) هذا هو القول الصحيح والحكم الصريح؛ لأن من قال به هم أهل العلم والتجربة والمعرفة التامة بأن أهل الكلام لا يفلحون؛ لأنهم تركوا سبيل الفلاح، وتنكبوا طريق الصلاح المستمد من الكتاب والسنة وما فيهما من الأحكام الشرعية، والأوامر والنواهي، والحلال والحرام وسائر الأحكام، والآداب والأخلاق والسلوك، لهذا وغيره، صرَّح أئمة العلم بأن أهل علم الكلام لا يُفلحون، أضف إلىٰ ذلك شهادة من تبحَّروا في علم الكلام، ثم منَّ الله عليهم بالهداية في آخر حياتهم، كالرازي والغزالي والجويني وأمثالهم الذين يعتبرون من أساطين أهل علم الكلام، فجلسوا حائرين لأنهم ما جمعوا إلا قيل وقال

من علم الكلام، فما عرفوا دينهم مما جمعوا من هذا العلم الخطير، ثم بعد ذلك رجعوا إلىٰ طريقة أهل الحديث، كما قال المؤرخون عنهم وذلك في آخر حياتهم، ومنهم الغزالي، ويقال: إنه ألَّف كتابًا اسمه (إلجام العوام عن علم الكلام)، وقد قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الغزالي مات وصحيح البخاري علىٰ صدره». ثم قال ابن تيمية: وهذا لا يمنعنا أن نبين ما في كتبه من الضلال من تصوف وخطرات و علم الكلام وما شابه ذلك[1].

وهذه قاعدة شرعية أن من ألف كتبًا ونشر فيها ضلالات وتداولها الناس ثم تاب ورجع؛ فإن توبته لا تمنع أهل العلم من الردود علىٰ ضلالاته التي نشرها في كتبه؛ لأنه يُخشىٰ أن يقلِّده من قلَّ نصيبه من العلم، ومن اغترَّ بذيوع صيته وشهرته، وأما إذا بقي له فسحة في العمر بعد توبته فإنه يلزمه أن يبادر إلىٰ سحب أخطائه من مؤلفاته، ويظهرها مثلما أظهر الضلالات سابقًا، وهذا الصنيع يعتبر من المناقب لا من المثالب، ولا يعيَّر به؛ بل يمدح بهذا وينعت ويثنىٰ عليه؛ لأنه رجع إلىٰ الحق بعدما تبين.

ورحم الله الشيخ عبد العزيز ابن باز لما رد علىٰ عبد الرحمن عبد الخالق الذي في جمعية التراث في الكويت، لما رد عليه الأخطاء التي أخطأ فيها، ووقع في علماء نجد الأفاضل أئمة الدعوة، وقال فيهم قولًا سيِّئًا، ردَّ عليه الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في صحيفة من الصحف وبين له أخطاءه وقال له: إن الواجب عليك أن تعدل عن هذا، وتنشر رجوعك عن هذا الكلام في الصحف السعودية والكويتية؛ بل ولابد من أن تؤلف مؤلَّفًا

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٧٢-٧٣) ودرء تعارض العقل والنقل (١/ ١٥٩-١٦٢)، والعقيدة الأصفهانية ص (١٤٢-١٨٥).

تبين فيه أخطاءك، حتىٰ يسلم الناس من الشر، هكذا لأنَّ الإمام عبد العزيز بن باز من أئمة العلم الذين يدركون أن الكتب التي تحمل البدع ويتداولها الناس وتطبع الطبعات المتتابعة، هذه تضر الناس ولا تنفع، وتتعاقب في الأجيال وتدوم قرنًا بعد قرن في الناس، إلا من سلَّمه الله وحفظه لأنه حفظ الكتاب والسنة، واعتصم بهما عقيدة وشريعة وخلقًا وأدبًا وسلوكًا حتىٰ أتاه من ربه اليقين.

قَالَ الإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ: وَبِهِ أَقُولُ أَنَا. (١)

(١)قوله: (وَبِهِ أَقُولُ أَنَا) أي ما دوَّن في هذه الرسالة من المعتقد الصحيح الذي هو عقيدة أهل السنة والجماعة، وبيان مواقفهم من أهل البدع والأهواء والضلال، والرد عليهم، والتحذير منهم، والقول بهجرانهم؛ هذه عقيدة المسلمين، وعلىٰ رأسهم العلماء، قال: (وَبِهِ أَقُولُ) أي بما دُوِّن في هذه العقيدة يقول به أبو محمد.

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ حُبَيْشٍ الْمقري: وَبِهِ أَقُولُ. (١)

(١) يعني ما قاله الرازيان في الرسالة يقول به أبو علي بن حبيش.

قَالَ شَيْخُنَا اِبْنُ الْمُظَفَّرِ: وَبِهِ أَقُولُ. (١)

(١) كذلك تبعهم ابن المظفر؛ بل وكل سلفي إلىٰ يوم القيامة، هذا قولهم، وهذا معتقدهم: الاعتصام بالكتاب والسنة بالفهم الصحيح، والسير علىٰ منهج أئمة العلم، وعلىٰ رأس أئمة العلم أصحاب النبيِّ ﷺ الذين تلقَّوا العلم عنه، ومن بعدهم من أوعية العلم من أهل القرون المفضلة، ومن بعدهم من العلماء إلىٰ يومنا هذا، وإلىٰ يوم القيامة، يقولون بهذا القول؛ أي بقول أهل السنة والجماعة واعتقادهم، وهجرهم لأهل البدع، وبيان بدعهم، وتحذير الناس منهم، هذه هي عقيدة المسلمين، وعلىٰ رأسهم؛ أئمتهم العلماء، فالعوام تبع العلماء في كل زمان ومكان .

وَقَالَ شَيْخُنَا -يَعْنِي الْمُصَنِّفَ- وَبِهِ أَقُولُ، وَفَّقَنَا اللهُ وَكُلَّ مُؤْمِنٍ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. (١)

---

(١) وبهذا تمتْ الرسالة التي هي «**أصل السنة واعتقاد الدين**» وقد بيَّن فيها المؤلِّفان -رحمهما الله- عقيدة أهل السنة والجماعة مدعَّمة بأدلَّة الكتاب والسنة، منتظمة منهج الطائفة الناجية المنصورة أهل السنة والجماعة في كل ما يتعلَّق بتصحيح الاعتقاد الذي ليس له مصدر إلا الكتاب العزيز، وصحيح السنة المطهرة، وما استمد منهما بفهم العلماء الربانيين السائرين علىٰ نهج السلف الصالحين من الصحابة الكرام، والتابعين لهم من أئمة الإسلام الذين وصفهم الله بقوله الحق: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت:٣٠- ٣١].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

سؤال (٢٠) من الإمارات: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فضيلة الشيخ -حفظكم الله ووفقكم- هل يجوز أن نترَّحم علىٰ أهل البدع، وأن نحضر جنائزهم؟

الجواب: لقد قرَّر عامَّة السلف وأتباعهم أن المبتدع الداعي إلىٰ بدعته والمشهور بها يهجر فلا يسلم عليه، ولا يجالس، ولا يعاد إذا مرض، ولا

تتبع جنازته، ويعتبرون هجره هذا ديانة، وفيه مصلحة وهي: لينزجر الناس عن البدع عمومًا، وعن صاحب البدعة المشهور بها خصوصًا، غير أنهم لا يكفِّرونه إذا كانت بدعته لا تكفره، وأما من حيث الترَّحم؛ فإذا ترَّحم عليه بدون أن يجهر بذلك؛ فلا حرج؛ لأنه من جملة المسلمين الذين معصيتهم فوق معصية المجاهرين بالكبائر، وما ذلك إلا لخطر البدع علىٰ أهلها وعلىٰ المجتمع الذي يعيش فيه المبتدع لا سيما إذا كان من أهل القدرة علىٰ التأليف؛ فإن ضرره يتناول المجتمع الذي يعيش فيه ويمتد إلىٰ غيره فيستفحل الشر، لذا فإن من جوانب الهجر الذي ترىٰ فيه المصلحة عدم عيادة المبتدع إذا مرض، وعدم اتباع جنازته إذا مات، وعدم الجهر بالترحم عليه؛ ليكون في ذلك عظة وعبرة وتنفيرًا للمسلمين من البدع وأهلها، ولما مات بشر المريسي لم يحضر مع جنازته سنيٌّ أبدًا مع توافر أهل السنة في بلده؛ بل حضر واحد من أهل السنة وهو يعرف ما عليه بشر المريسي من مذهب التجهم: من إنكار عذاب القبر، وإنكار الشفاعة، ذهب من أجل أن يدعو عليه لا ليدعو له، لما وضع في قبره قال: «اللهم إن عبدك هذا ينكر عذاب القبر فأذقه من عذاب القبر ما لم تذق أحدًا من العالمين. ثم لما دعا الناس، هو دعا قال: اللهم إن عبدك هذا ينكر الشفاعة فلا تشفع فيه أحدًا من عبادك -أو كما قال-.

ولما رجع إلىٰ أصحابه أهل السنة قالوا له: تدَّعي بأنك من أصحاب السنة وتتبع جنازة بشر؟ قال: لا تعجلوا حتىٰ أخبركم. وأَخبرَهم بما قال، فصدقوه وضحكوا بعد أن كانوا أهل غضب عليه وغيظ[1].

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب (٧/ ٦٦) وأخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي (ص٧٠).

هذا بحسب المصالح والمضار؛ إن رأىٰ السلفي أن من المصلحة الترحم عليهم يترحم عليهم من غير جهر، وإن رأىٰ من المصلحة للغير عدم الترحم عليهم وعدم ذكرهم بشيء من صالح أعمالهم فعل، مع أن أهل السنة أهل ورع في قضية التكفير فلا يكفِّرون أحدًا ببدعة إلا إذا كانت بدعته تكفِّره؛ ولكنهم يبينون أن البدع خطيرة وأنها بريد الكفر، وأن المبتدع محارب للسنة الكريمة .

وكفىٰ بقول النبيِّ ﷺ بيانًا للخطر: «**إِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ**»[1]، فهذا هو الموقف، موقف أهل السنة يدور مع المصالح ودفع المضار، إن رأىٰ مصلحة في الترحم علىٰ صاحب البدعة الذي ما أخرجته بدعته عن دائرة الإسلام، فعل غير جاهر بذلك، وإن رأىٰ مصلحة للحاضرين أنه إذا ذكر عنده صاحب البدعة لا يترحم عليه؛ بل يحذر من بدعته فعل .

وكذلك أيضًا حضور الجنازة، إذا كانت جنازة مبتدع، إن رأيت أن تحضر طمعًا في استقطاب جماعته وأسرته وذويه، استقطابهم ودعوتهم إلىٰ الحق وتحذيرهم مما كان عليه ميتهم فعلت، وإن لم يكن كذلك فلا تحضر جنازة المبتدع ولا كرامة .

وأما السالمون من البدع ولو كانوا من أهل المعاصي الظاهرة يدعىٰ لهم ويستغفر لهم، ويسألون الله ﷻ أن يشفِّعهم فيه إذا كان من أهل التوحيد

---

(١) مسلم: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، (ج٢ رقم٨٦٧ ص٥٩٢)، والنسائي في صلاة العيدين باب كيف الخطبة، حديث رقم (١٥٧٨)، واللفظ له، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

والصلاة، والله غفور رحيم.

والحقيقة أن أهل السنة هم الذين يرحمون الناس؛ بتعليمهم وتحذيرهم من أهل البدع، بخلاف أهل البدع فإنهم ضلّوا في أنفسهم، وأضلّوا غيرهم وهذا واقع الصنفين .

سؤال (٢١) من هولندا: إذا قالت امرأة أنها ترفض حكم إرث المرأة في القرآن، فهل يعتبر ذلك كفرًا عند أهل السنة والجماعة، وهل تعتبر هذه المرأة كافرة؟

الجواب: تتلىٰ عليها آيات الميراث في القرآن من سورة النساء إذا كانت مسلمة، فإن اقتنعت وآمنت وتابت واستغفرت لا عليها، وإن أصرَّت علىٰ ذلك فهي مكذِّبة بالقرآن، ويقينا أن من كذَّب بشيء من القرآن فهو كافر بعد إقامة الحجة عليه.

سؤال (٢٢) من الكويت: هل يجوز تأجير الذهب؛ أي وضع مبلغ معين من المال، وأخذ قطعة من الذهب لمدة معينة، وبعدها ترد هذه القطعة مقابل المبلغ المدفوع، طبعًا لا يرد المبلغ؟

الجواب: لا حرج في التأجير، وأفضل منه وأزكىٰ الإعارة وفي ذلك أجر فإن أجَّره فلا حرج عليه في ذلك.

سؤال أخير (٢٣) من عمان: عندنا في عُمان المفتي إباضي العقيدة، فهل يعتبر من ولاة الأمر، وكيف تكون طاعته إذا كان كذلك وجزاكم الله خيرًا؟

الجواب: لا يطاع أحد في معصية الله، لا آمر ولا مأمور .

***

الخاتمة

أولًا: نحمد الله الذي أعاننا علىٰ إخراج هذه الرسالة بتعليقاتنا السلفية عقيدة ومنهجًا، وإننا لنرجو الله تبارك وتعالىٰ أن يكلّل بالنجاح تحصيل العلم ونشره مقرونًا بالصواب والإخلاص والقبول .

ثانيًا : كما سبق بيانه أن أصل هذه التعليقات، دروس أُلقيتْ علىٰ طلاب العلم، ثم فُرّغتْ من وعائها الأول، ثم قمنا بخدمتها حتىٰ وصلت إلىٰ ما هي عليه الآن من احتوائها علىٰ أصول الدين، التي في مقدمتها توحيد رب العالمين في ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته.

ثالثًا : إننا علىٰ معرفة تامة أن المادة التي تُلقىٰ علىٰ طلاب العلم، وتُفرّغ لتصبح كتابًا مؤلفًا ليست كالكتب التي يؤلفها ذوو الكفاءات العلمية في فنون العلم المتنوعة، وهذا في اعتقادنا لا يهوّن من شأن ما فُرّغ من الدروس ثم أصبح كتابًا يُضاف إلىٰ المكتبة السلفية العامة ليكون لبنة متينة في لبناتها .

رابعًا : إننا ندعو إخواننا من أهل العقيدة السلفية والمنهج الإسلامي الصحيح أن يبذلوا جهودهم في شرح وبيان عقيدة السلف الصالح، ومنهجهم الوسطي، سواء بواسطة الوسائل المقروءة، أو المسموعة، أو المرئية السليمة لتتظافر الجهود علىٰ إيضاح تلك العقيدة الجليلة، التي لا

حياة لعالم الإنس والجن إلا بالعلم والعمل بها، والعيش في ظلّها، وقد رأيتَ أيها القارئ الكريم ما كتبه الإمامان الرازيان من الحقائق العقدية التي تمّ شرحها، وإيضاحها من خلال تعليقاتنا المليحة عليها لينضمّ خير إلىٰ خير، فتكمل الفائدة لمن وصلتْ إلىٰ يده هذه الرسالة، ونظائرها مما تمّ لنا العمل علىٰ إخراجه، رجاء رحمة الله، والطمع في ثوابه، والخوف من عقابه .

خامسًا:وإذا كان الإمامان الرازيان رحمة الله عليهما قد بيّنا أصل السنة واعتقاد الدين، وما يتعلّق بذلك من الأصول، فإنه يلزمنا أن نحذوَ حذوهما في البيان والإيضاح، وقد تمّ لنا شيء من ذلك في هذه التعليقات التي تمّ إخراجها بفضل الله ثم بما بذلنا فيها من جهد غير شاقٍ، بل صار سهلًا ميسرًا من البداية إلىٰ النهاية ولله الحمد والمنّة لننتفع بها، وينتفع بها غيرنا ممن ستصل إلىٰ أيديهم إن شاء الله تعالىٰ .

سادسًا : وإذا كان الإمامان الرازيان رحمة الله عليهما قد بيّنا أصل السنة واعتقاد الدين، فإنهما بجانب ذلك قد بيّنا عقائد ومناهج فرقٍ هالكة متعدّدة بلغت (ثمان) فرق ليحذرها المسلمون والمسلمات في كل زمان ومكان، وقد قيل :

وبــضــدّها تتـميّز الأشـيـاءُ

سابعًا : ونحن نضيف إلىٰ تلك الفرق فرقًا هالكة معاصرة شذّت عن منهج أهل السنة والجماعة بقليل أو كثير، وما كان لهم أن يخالفوا عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة علىٰ سبيل الحقيقة لا الإدّعاء، غير أن اتباع

الهوىٰ يعمي ويُصمّ .

الفرقة الأولىٰ : الإخوان المسلمون، التي قادها قادةُ فكرٍ ضال، كحسن البنا، وسيد قطب، وعمر التلمساني، وورثتهم، وأبو الأعلىٰ المودودي وأتباعه، ويالله كم لهم من أتباع تساقطوا ليرتووا من ذلكم المنهج الذي يُفسد ولا يصلح، ويُخرّب ولا يبني، ويدمّر ولا يعمّر، وقد فصّلت عقائدهم ومناهجهم تفصيلًا جليًّا في عدّة كتب أشهرها :

الأجوبة السديدة عن الأسئلة الرشيدة، وكتاب الإرهاب وآثاره علىٰ الأفراد والأمم، وكتاب الشروق علىٰ الفروق، وكتاب النصح والبيان لمؤلف الجودة والإتقان في حلقات القرآن، وهي مطبوعة متداولة والحمد لله فلا داعي لنقل ما كتبتُ في تلك الكتب عن عقائد الإخوان، ومناهجهم هنا، ولكني أحيل إلىٰ كتبي المذكورة آنفًا، ومن أحيل علىٰ مليئ فليتبع .

الفرقة الثانية : فرقة التبليغ التي أسسها محمد إلياس الهندي، وكم لها من قادة وأتباع قد ملأوا المشارق والمغارب، بحجة التبليغ لدين الإسلام، ومع الأسف الشديد أن معظمهم ما عرف عقيدة الإسلام وما تهدف إليه من تخليص العبادة لله وحده لا شريك له، ومنهجهم معروف بالفساد عند من نوّر الله بصائرهم ممن قد ماتوا، وممن هم علىٰ قيد الحياة، وقد بُيّن منهجهم الفاسد في جملة من الكتب أشهرها (القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ) للعلامة الشيخ حمود التويجري رحمه الله، ولي كتابة مفصّلة عن عقائد فرقة التبليغ ومنهجهم مدوَنة في الكتب التالية :

الكتاب الأول : الأجوبة السديدة عن الأسئلة الرشيدة، والكتاب الثاني:

الشروق علىٰ الفروق، والكتاب الثالث : المنظومات الحسان، والكتاب الرابع : النصح والبيان لمؤلف كتاب الجودة والإتقان في حلقات القرآن.

الفرقة الهالكة الثالثة : السرورية، **والفرقة الرابعة الهالكة** : القطبية، ومنهجهما متقارب، وأشهر ما فيه التكفير للمسلمين رعاة ورعيّة بدون استناد إلىٰ برهان من عقل أو سنة أو قرآن .

الفرقة الخامسة الهالكة : الفئة الضالة التي نشأت في هذا العصر، وملأت دنيا البشر فسادًا وإفسادًا بإرهابها الحسي والمعنوي، فكم من أنفس معصومة قد قتلوا ظلمًا وعدوانًا، وكم من منشآت دمّروها ينتفع بها أهلها ممن لا يجوز الاعتداء علىٰ أموالهم ولا علىٰ دمائهم ولا علىٰ أعراضهم من مسلمين، ومستأمنين، ومعاهدين، وأصحاب مواثيق دولية، وذميين، فعلوا ذلك بغيًا وعدْوًا، وفعلوا أكثر من ذلك مما قد علمه القاصي والداني، وشهدوا بأن هذه الفئة الضالة التي قامت بأعمال منكرة أهل إجرام، وفساد كبير إذ لم تسلم منهم دولة من دول الإسلام، بل وغير الإسلام ممن لهم عهود ومواثيق دولية أمر الإسلام برعايتها، ولكن قادة هذا الفكر التكفيري والتضليلي وأتباعهم لا يرقبون في مؤمن ولا مؤمنة إلًّا ولا ذمّة، ولا يراعون لذي عهدٍ شرعيٍّ عهده .

فنسأل الله أن ينصرنا عليهم نصرًا مؤزرًا، وأن يُلقي الرعب في قلوبهم، وأن يحول بينهم وبين ما يريدون من الأماني الكاذبة .

وحقًّا نقول : إن هذه الفئة قد أحيوا سنة الخوارج مكتملة وزيادة، من أنواع الفساد؛ كقتلهم أنفسهم وغيرهم من المظلومين، فما هم إلا قرن

ننتظر من الله عز شأنه أن يقطعه، كما قال النبي ﷺ عن الخوارج (كلما طلع قرن قُطع، حتىٰ عدّ عشرين قرنًا) .

الفرقة الهالكة السادسة : هم الذين يؤججون نار الفساد بتوجيهاتهم الحاقدة علىٰ الإسلام والمسلمين لاؤلئك الأغرار من قادة وأتباع ويُمدونهم بالأموال الكثيرة ليكثر فسادهم، وتتحقق آمالهم، وحينئذٍ يفرحون بانتصار أولئك المفسدين علىٰ أهل الحق المظلومين، وهيهات أن يتمّ لهم ذلك لأن سنة الله في أهل البغي والفساد تدميرهم وقطع دابرهم، وإننا من خلال هذه السطور لننصح هذه الفئة الضالة من متبوعين وأتباع، والذين يُمدونهم بالآراء الفاسدة، والأموال الطائلة ننصح الجميع بأن يتوبوا إلىٰ الله نابذين الفساد وأعماله؛ من وسائل وغايات وراء ظهورهم، ومقبلين في مستقبل حياتهم علىٰ الصلاح والإصلاح، وإتباع السيئات بالحسنات، وتسليم أنفسهم للعدالة ليُحكّم فيهم شرع الله المطهّر، وليعلموا أن الرجوع إلىٰ الحق خير من التمادي في الباطل، وليعلموا أيضًا أن عاقبة الظالمين والمفسدين وخيمة، وسبب في العقوبات العاجلة والآجلة، وهذا تذكير منا لهم نرجو الله عز وجلّ أن تكون له الآذان صاغية، والقلوب واعية، كما نسأله سبحانه أن يمنّ علىٰ المسلمين والمسلمات في كل قطر من أقطار الأرض بالإيمان والأمن والأمان، إن الله علىٰ كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وهو حسبنا ومولانا فنعم المولىٰ ونعم النصير، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا وأسوتنا محمد البشير النذير، وعلىٰ آله وأصحابه، وعلىٰ كل من علىٰ نهجهم يسير .

الفهرس

مقدمة الشارح ٥

ترجمة للإمامين الرازيين

❑ أبو حاتم الرازي:

نسبه ٧
كنيته ٧
نسبته ٧
رحلته في طلب الحديث ٧
ممن روىٰ عنهم ٨
ممن رووا عنه ٨
من خرج حديثه ٩
ثناء الأئمة عليه ٩
آثاره ١١
وفاته ١١
ممن ترجم له ١١

❑ أبو زرعة الرازي:

نسبه وكنيته ونسبته ١٣
ممن روىٰ عنهم ١٣
ممن رووا عنه ١٤
من خرج حديثه ١٤

ثناء الأئمة عليه ١٤
آثاره ١٦
وفاته ١٦
ممن ترجم له ١٧
مقدمة ١٩
الإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ ١٩
وَالْقُرْآنُ كَلامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ بِجَمِيعِ جِهَاتِهِ ٢٣
وَالْقَدَرُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ مِنَ اللهِ ﷻ ٢٨
وَخَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ ٣٧
وَأَنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ ٤٣
وَالتَّرَحُّمُ عَلَىٰ جَمِيعِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ ٤٨
وَعَلَىٰ آلِهِ وَالْكَفُّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ٥٨
وَأَنَّ اللهَ ﷻ عَلَىٰ عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ ٦٤
وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُرَىٰ فِي الآخِرَةِ ٦٩
وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، وَهُمَا مَخْلُوقَتَانِ ٧٣
وَالصِّرَاطُ حَقٌّ ٧٧
وَالْمِيزَانُ الَّذِي لَهُ كِفَّتَانِ يُوزَنُ فِيهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ ٨٤
وَالْحَوْضُ الْمُكَرَّمُ بِهِ نَبِيُّنَا حَقٌّ ٩٠
وَالشَّفَاعَةُ حَقٌّ، وَأَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ يَخْرُجُونَ ٩٧
وَعَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ ١٠٦
وَمُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ حَقٌّ ١١٢

وَالْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ حَقٌّ ١١٤
وَالْبَعْثُ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ حَقٌّ ١١٧
وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ فِي مَشِيئَةِ اللهِ ﷻ ١٢٣
وَلا نُكَفِّرُ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِذُنُوبِهِمْ، وَنَكِلُ سَرَائِرَهُمْ إِلَىٰ اللهِ ﷻ ١٢٦
وَنُقِيمُ فَرْضَ الْجِهَادِ وَالْحَجِّ مَعَ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ١٢٨
وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلافَ وَالْفُرْقَةَ ١٤٨
وَقَالا: وَالنَّاسُ مُؤْمِنُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ ١٥١
وَالْمُرْجِئَةُ الْمُبْتَدِعَةُ ضُلالٌ ١٥٤
وَالْقَدَرِيَّةُ الْمُبْتَدِعَةُ ضُلَّالٌ. فَمَنْ أَنْكَرَ مِنْهُمْ ١٥٩
وَأَنَّ الرَّافِضَةَ رَفَضُوا الإِسْلامَ ١٦٣
وَالْخَوَارِجُ مُرَّاقٌ ١٦٥
وَأَنَّ الْجَهْمِيَّةَ كُفَّارٌ ١٦٨
وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ ١٦٨
وَعَلامَةُ أَهْلِ الْبِدَعِ الْوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ الأَثَرِ ١٧٥
وَعَلامَةُ الزَّنَادِقَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ: حَشَوِيَّةً ١٧٧
وَعَلامَةُ الْجَهْمِيَّةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُشَبِّهَةً ١٨٠
وَعَلامَةُ الْقَدَرِيَّةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ الأَثَرِ مُجْبِرَةً ١٨٢
وَعَلامَةُ الْمُرْجِئَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُخَالِفَةً وَنَقْصَانِيَّةً ١٨٤
وَعَلامَةُ الرَّافِضَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ نَاصِبَةً ١٨٦
وَلا يَلْحَقُ أَهْلَ السُّنَّةِ إِلا اسْمٌ وَاحِدٌ ١٨٧
الأمرِ بِهُجْرَانِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْبِدَعِ ١٩٢

قَالَ الإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ: وَبِهِ أَقُولُ أَنَا ١٩٣
وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ حُبَيْشٍ الْمقري: وَبِهِ أَقُولُ ١٩٤
قَالَ شَيْخُنَا اِبْنُ الْمُظَفَّرِ: وَبِهِ أَقُولُ..... ١٩٥
الخاتمة..... ١٠٩
الفهرس ١٠٤

○○○